



الشيخ

عبدالرزاق بن عبدالمحسن الصانع

مُعَالِمَةٌ فِي طَرِيقِ الدِّعَاةِ

مَشْرِوَات
القاسمي
AL GASIMI
PUBLICATIONS

٢٠١٦

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مُعَالِمِي طَرِيقِ الدِّعَاةِ

الشيخ
عبدالرزاق بن عبدالمحسن الصانع

مُعَالِمٌ
فِي طُرُقِ الدِّعَاةِ

اسم الكتاب: معالم في طريق الدعاة

اسم المؤلف: الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن الصانع «السعودية»

اسم الناشر: منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة

إذن طباعة رقم ١٤٥٤٧٦ بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١٦، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

ردمك: ISBN: 978-9948-02-688-4



التوزيع: منشورات القاسمي الشارقة، القصباء، مبنى (د) (D) الطابق الثالث

ص ب ٦٤٠٠٩ الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٦٥٥٤١١٤٥، بَرّاق: ٠٠٩٧١٦٥٥٤١٦٦٤

بريد الكتروني: alqasimi.dist@gmail.com

الفهرسة الوصفية أثناء النشر: مكتبة الشارقة

٢١٤

ع.ع م. عبدالرزاق بن عبد المحسن بن ابراهيم الصانع (١٣٢٥ - ١٤١١ هـ =

١٩٠٧ - ١٩٩٠ م)

معالم في طريق الدعاة / عبدالرازق بن عبدالمحسن بن ابراهيم الصانع : (تقديم سلطان بن

محمد القاسمي) .. الشارقة (الامارات العربية المتحدة) : منشورات القاسمي ٢٠١٦ .

ص ١٦٠ ؛ ٢٣,٥X١٥,٥ سم

ردمك : ٩٧٨٩٩٤٨٠٢٦٨٨٤

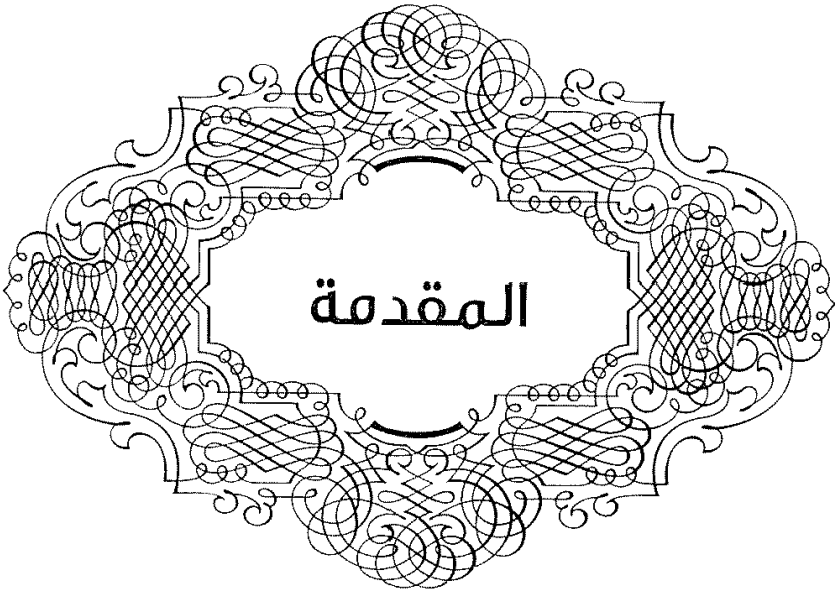
١-الاسلام - دعوه ٢-الاسلام ، مبادئ عامه

٣- الاخلاق الاسلاميه أ- العنوان

فهرس المحتويات

- ٧ • المقدمة
- ١٠ • سيرة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن بن إبراهيم الصانع ير حمة الله، (١٣٢٥هـ - ١٤١١هـ)
- ١٤ • التمهيد
- ١٩ • معالم في طريق الدعوة
- ٢٠ • المعلم الأول: سماحة الإسلام
- ٢٦ • المعلم الثاني: الاختيار الرشيد
- ٣٠ • المعلم الثالث: المقصد الأسمى
- ٣٧ • المعلم الرابع: هدية الإسلام
- ٤٣ • المعلم الخامس: صناعة الرجال
- ٤٥ • المعلم السادس: الضرورة الاجتماعية
- ٤٩ • المعلم السابع: المعيار الحقيقي
- ٥٢ • المعلم الثامن: الحمية الإسلامية
- ٥٦ • المعلم التاسع: ملاك الدين
- ٦٤ • المعلم العاشر: الحياة الهادئة
- ٦٨ • المعلم الحادي عشر: شمس الدنيا
- ٧٢ • المعلم الثاني عشر: ما يهدم الإسلام
- ٧٨ • المعلم الثالث عشر: خطوط الإسلام
- ٨٢ • المعلم الرابع عشر: نعمة الزمن
- ٩٧ • المعلم الخامس عشر: المثالية الحقيقية
- ١٠١ • المعلم السادس عشر: الترقية النفسية
- ١٠٥ • المعلم السابع عشر: أول منازل السالكين
- ١٠٩ • المعلم الثامن عشر: غاية الحياة
- ١١٥ • المعلم التاسع عشر: الحب الحقيقي
- ١٢٠ • المعلم العشرون: التراث التاريخي
- ١٢٥ • المعلم الحادي والعشرون: فن التعامل
- ١٢٨ • المعلم الثاني والعشرون: عماد الحياة

- المعلم الثالث والعشرون: عامل البقاء ١٣١
- المعلم الرابع والعشرون: الرحمة المهداة ١٤٤
- المعلم الخامس والعشرون: الوعي الإسلامي ١٤٧
- المعلم السادس والعشرون: القيادة الحقة ١٥١
- المعلم السابع والعشرون: نصيحتي ١٥٤





تعود معرفتي بمؤلف هذا الكتاب المهم إلى تواصلتي مع ابنه البار السيد محمد بن عبد الرزاق الصانع، الذي تربطني به صداقة أساسها العلم والبحث، فهو باحث ودارس نشط في مجال الدراسات والبحوث الإسلامية والتاريخية في المدينة المنورة، وعبره اطلعت على جهود والده الراحل الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن الصانع، وقدرتها حق قدرها.

إن اهتمامي بنشر هذا الكتاب، والاعتناء به، كان لعدة اعتبارات:

أولاً: إن هذا الكتاب على صغر حجمه فقد احتوى على معالم للهداية، تشمل جميع مناحي حياة المسلم.

ثانياً: إن هذا الكتاب بقدر ما هو مهم للدعاة، فهو مهم كذلك

لكل مسلم يبحث عن طريق الهداية.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن الصانع رحمة
واسعة، وجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين خير الجزاء.
قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^(١).
وقال رسول الله ﷺ: ﴿ اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا
هداة مهتدين ﴾

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سلطان بن محمد القاسمي

١. سورة الأنبياء، الآية (٧٣).



سيرة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن بن إبراهيم الصانع

يرحمه الله، (١٣٢٥هـ - ١٤١١هـ)

هو الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد
ابن ناصر الصانع.

جده الثاني أحمد بن ناصر الصانع أمير الجمعة. عمل وكيلاً
لبيت المال في عهد الإمام تركي بن عبد الله، وابنه فيصل آل
سعود - رحمهما الله - سنة ١٢٤٦هـ، كما ذكره المؤرخ ابن بشر
في كتابه: (عنوان المجد في تاريخ نجد، ١/١٨٩).

وأما جده الأول، إبراهيم بن أحمد، فقد نرح إلى إمارة الزبير،

وتزوج فيها، وأنجب الشيخ عبد المحسن الصانع، ثم عاد إلى
الجمعة، وتوفي فيها تاركاً أسرته في الزبير.

وأما صاحب الترجمة الشيخ عبد الرزاق الصانع - يرحمه
الله - فقد ولد في إمارة الزبير سنة ١٣٢٥هـ، ونشأ فيها، وتلقى
مبادئ علوم الدين والقرآن من علماء الزبير فيها، ومنهم: الشيخ
إبراهيم الرماح، والشيخ عبد الله بن حمود، والشيخ محمد
الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية، يرحمهم الله
جميعاً.

وقد أتم دراسته في مدرسة النجاة الأهلية، وبعدها أكمل
دراسته الثانوية في المدرسة الثانوية الرحمانية في البصرة، ثم
أوفدته الأوقاف لإكمال دراسته الجامعية ببغداد، قبل أن
تُسمى فيما بعد كلية الشريعة، ومن أشهر مدرسيه الشيخ
نعمان الأعظمي رحمه الله، فتخرج من كلية الإمام الأعظم سنة
١٣٥٠هـ، وبعدها أمر الملك غازي بن فيصل ملك العراق بتعيين
الشيخ عبد الرزاق بعد تخرجه من الكلية في الثانوية المركزية في
البصرة؛ فكان أول زبيري يُدرّس في الثانوية آنذاك، وكان يدرس
العلوم الشرعية، ويربطها بالفنون التشكيلية.

وقد أمضى الشيخ عبد الرزاق في التدريس أكثر من خمسة

وثلاثين (٣٥) سنة من عمره في مدارس مختلفة في البصرة والزبير.

وقد كان من وجهاء الزبير المعروفين بالكرم والمنطق والدبلوماسية، وكان في كل مناسبة يختاره أهل الزبير ضمن الوفد المستقبل لأي وفد يزور الزبير أو يوفد إلى خارجها، وكان من ضمن الوفد الذي استقبله رئيس الجمهورية العراقية عبد السلام عارف مرتين في أثناء زيارته للزبير.

وكان الشيخ عبدالرزاق من الدعاة إلى الله على المنهج السلفي البعيد عن البدع والضلال، وقد أوجد المصليات في المدارس الابتدائية والثانوية التي يتواجد فيها، وكان يؤم الطلاب فيها بنفسه، ويوجههم الوجهة الصحيحة.

ولم يشغله التدريس والقيام بالأعمال الاجتماعية والحكومية عن التأليف والتصنيف، فألف -رحمه الله- جملة من المؤلفات، وصنف عددا من الرسائل، ومن أهمها:

- تاريخ إمارة الزبير بين الهجرتين، وهو في خمسة أجزاء، وقد طُبعت منها أربعة أجزاء.
- الوفاء بالصلاة على المصطفى.
- السيرة النبوية.

- أهمية الوقت.
 - الوصايا العشر من الكتاب والسنة.
 - الصيام.
 - الاصلاح الاجتماعي.
 - معالم في طريق الدعوة.
- وقد استقر - رحمه الله - بالمدينة المنورة سنة ١٩٨٠م، وظلّ ملازماً لمجالس العلماء بالمسجد النبوي الشريف، أمثال الشيخ أبي بكر الجزائري، والشيخ عطية محمد سالم، والشيخ عمر فلاتة، والشيخ عبد العزيز بن صالح، والشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي.

وقد وافاه الأجل بالمدينة المنورة في ١٢ شعبان سنة ١٤١١هـ عن عمر يناهز التاسعة والثمانين، ودفن في بقيع الغرقد، فغفر الله له، ورحمه رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، أمين!

كتبه ابنه:

أبو جاسم محمد بن عبد الرزاق الصانع

المدينة المنورة، ٨/٦/١٤٣٧هـ



التمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

١. سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

رَقِيبًا ﴿١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٢) (٣).

أما بعد :

فهذه رسالة دعوية، وضع فيها والدي - رحمه الله - بصماته وتجاربه وعصارة فكره، لتكون نبراساً لمن اتخذ طريق الدعوة منهجاً، وسبيل الخير مسلكاً، وهي عبارة عن معالم مضيئة، وخواطر مشرقة، ووقفات متأنية، وكلمات صادقة، أحسب أنها خرجت من القلب، وعاشها في حياته، ورأيتها في واقعه وعباداته، عليها يُصبح، وعليها يمسي، وقد توقاه الله عز وجل وهو يحمل هم الإسلام والدعوة إليه، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ونفعه بما قدم، ونفع المسلمين بما سطر.

وقد جعلتها مرتبة على النحو التالي :

١ . سورة النساء، الآية (١) .

٢ . سورة الأحزاب، الآية (٧٠)، والآية (٧١) .

٣ . هذه خطبة الحاجة، جاءت من حديث ابن مسعود وغيره، قال ابن حجر عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أشهر أحاديث خطبة الحاجة . وقد رواه أبو داود، وصححه الترمذي وأبو عوانة، واجتباها النسائي، وانتقاه ابن الجارود، ورواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم .

- المعلم الأول : سماحة الإسلام .
- المعلم الثاني : الاختيار الراشد .
- المعلم الثالث : المقصد الأسمى .
- المعلم الرابع : هديّة الإسلام .
- المعلم الخامس : صناعة الرجال .
- المعلم السادس : الضرورة الاجتماعية .
- المعلم السابع : المعيار الحقيقي .
- المعلم الثامن : الحميّة الإسلامية .
- المعلم التاسع : ملاك الدين .
- المعلم العاشر : الحياة الهادئة .
- المعلم الحادي عشر : شمس الدنيا .
- المعلم الثاني عشر : ما يهدم الإسلام .
- المعلم الثالث عشر : خطوط الإسلام .
- المعلم الرابع عشر : نعمة الزمن .
- المعلم الخامس عشر : المثالية الحقيقية .
- المعلم السادس عشر : الترقية النفسية .
- المعلم السابع عشر : أول منازل السالكين .
- المعلم الثامن عشر : غاية الحياة .

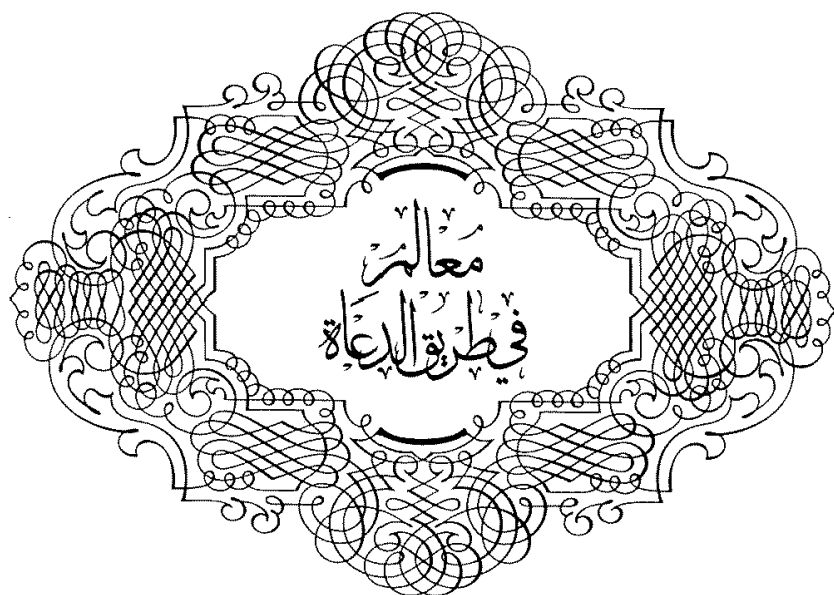
- المعلم التاسع عشر: الحب الحقيقي.
- المعلم العشرون: التراث التاريخي.
- المعلم الواحد والعشرون: فن التعامل.
- المعلم الثاني والعشرون: عماد الحياة.
- المعلم الثالث والعشرون: عامل البقاء.
- المعلم الرابع والعشرون: الرحمة المهداة.
- المعلم الخامس والعشرون: الوعي الإسلامي.
- المعلم السادس والعشرون: القيادة الحقة.
- المعلم السابع والعشرون: نصيحتي.

فإليك أخي الداعية هذه المعالم ؛ لتكون منارة في طريق دعوتك، ومعيناً وزاداً لعلمك، فشدّ عليها يديك، وأودعها سويداء قلبك، وقل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

أبو جاسم محمد بن عبدالرزاق بن عبد المحسن الصانع

المدينة النبوية، ٢٩ / ٨ / ١٤٢٦ هـ

١. سورة الحشر، الآية (١٠).





المعلم الأول سماحة الإسلام

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

﴿ إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ﴾ .
إن من مميزات ديننا الإسلامي وشريعتنا الإلهية السمحة، أنها سهلة الأحكام والتكاليف، لم تلزم أتباعها شططاً، أو تكلفهم ما لا يطيقون .

وهذا ما أراده النبي ﷺ بقوله: ﴿ إن الدين يسر ﴾ أي لا

مشقة في تكاليفه ولا صعوبة في أحكامه، على حد قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١).

بخلاف غيره من الأديان السابقة فقد كان فيها ذلك كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة، وغيرهما من الأحكام الشاقة، على ما أشارت إليه الآيات الكريمة، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾^(٢).

فأمر سبحانه للتخلص من الذنب والتخلص من الخطيئة بقتل النفس لقبول التوبة، فكان ديننا سهلاً لا حرج فيه ولا صعوبة، على ما أشارت إليه الآية الكريمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣) وما كلف الله - جل شأنه - عباده من هذه الأمة إلا بقدر يسرهم وطاقتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٤)، ووصف الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، وما علمنا أن ندعو به سبحانه كما في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا

١. سورة البقرة، الآية (١٨٥).

٢. سورة البقرة، الآية (٥٤).

٣. سورة الحج، الآية (٧٨).

٤. سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

٥. سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿١﴾ .

وبالرغم من ذلك كله أبى أكثر الناس إلا أن يختلفوا ويتفرقوا إلا من رحم ربك، فتنازعوا أمرهم بينهم، وغدوا شيعاً وأحزاباً، وجعلوا القرآن عضيضين، فضربوا بعضه ببعض، واختلفوا على الحق من بعد ما جاءهم العلم والبيئات بغياً بينهم، فحق فيهم قول الباري سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (٢) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿٣﴾ .

وصدق الرسول ﷺ حيث يقول: ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراعاً حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ﴾ (٣) .

وقوله ﷺ: ﴿ إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاثة وسبعين ملة - يعني الأهواء -، كلها في النار إلا واحدة، هي ما كان عليه أنا وأصحابي ﴾ (٤) .

١. سورة البقرة، الآية (٢٨٦) .

٢. سورة هود، الآية (١١٨)، والآية (١١٩) .

٣. رواه البخاري ومسلم .

٤. رواه أبو داود بسند جيد .

وقال قتادة: ﴿أهل طاعة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل الفرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم﴾ . وهكذا لم يلبث الناس أن فارقوا هدى ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم ﷺ فتجارت بهم الأهواء وتجاوزتهم الاختلافات، وقدموا بين يدي الله ورسوله آراء الرجال، وضلالات الفلاسفة، ومؤلفات المتكلمين، فضلوا وأضلوا عن سبيل الله وصراطه المستقيم، ولبس عليهم الشيطان أمر دينهم، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٤﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١) .

ويقول ابن كثير إن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية والجهمية، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ؛ لأنها نزلت في هؤلاء على الخصوص، لكنها عامة في كل من عبد الله على غير طريقة فرضيته، يحسب أنه مصيب وأن عمله مقبول، وهو مخطئ وعمله مردود .

لقد شاء الله أن يقيض لدينه الحق من يحقق إرادة الله بحفظ هذا الدين بعد رسول الله ﷺ، ويقوم به حق القيام، فكانوا بحق

١. سورة الكهف، الآية (١٠٣)، والآية (١٠٤) .

﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١) إذ قام صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأمر خير قيام، وأدّوا الأمانة التي حملهم إياها ربهم سبحانه وتعالى خير الأداء، ونقلوها لمن بعدهم من التابعين كاملة غير منقوصة، وكان التابعون من بعدهم خير خلف لخير سلف، فحملوا هم بدورهم أمانة هذا الدين لمن بعدهم من أئمة السنة، ومن سار على دربهم واهتدى بهديهم، غير مبالين بمخالفة المخالفين، وبتخذيّل المخذيّلين من أهل الأهواء والبدع والملل والضلالات، فتمسكوا بهدي نبيهم ﷺ وسنته وأثاره، فالتزموا بها وحفظوها ولقنوها لمن بعدهم.

وهكذا تسلّم أهل السنة الحق في كل قرن راية السنة وأثار العقيدة بمن كان قبلهم من أهل الحق، وسلّموها لمن جاء بعدهم من أبناء الأجيال اللاحقة، حتى غدت راية السنة الظاهرة متميزة في كل عصر وجيل، يحملها أفراد هذه الطائفة المنصورة، عالية خفاقة نقية طاهرة، حافظين إياها لمن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول الرسول ﷺ: ﴿لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين﴾^(٢).

١. سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

٢. رواه البخاري.

وعلى مرّ العصور وتلاحق الأجيال، ترسّخت أصول وقواعد هذه الطائفة الناجية، وتحددت مناهجها، وتميزت منابع فكرها ومناهل علمها، ودونت عقائدها وتميّزت عن عقائد وأصول ما عداها من الفرق الأخرى فكانت هذه الطائفة بين سائر فرق الملل الأخرى، كالملة الإسلامية بين سائر الملل الأخرى، وتميز أهلها عن غيرهم سواء في عقائدهم وفقههم، أو في أخلاقهم وسلوكهم، فكانوا خير شاهد لهذا الدين، وأقام الله بهم الحجة على عباده في كل عصر وجيل.

ولا زالت منهم شمس ساطعة، تضيء الطريق لكل من أراد الله له الخير والهداية في إقتداء آثار رسول الله ﷺ، والاهتداء بهديه، والاستنان بسنته.

ومما يدعو إلى الاعتزاز والفخر أن هذا الدين الذي جاء به الأمين المنقذ ﷺ سوف يبقى ناشراً لواءه، معلناً حكم الله في الأرض، وقد هيأ الله لهذا الدين رجالاً تتوفر فيهم هذه السمات المتميزة، مؤهلين لحمل راية الكتاب والسنة، يؤمنون بها، يدعون لها، تنطبق عليهم هذه الصفة: (ظاهرين).



المعلم الثاني الاختيار الرشيد

قال ﴿ﷺ﴾ فيما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ﴿مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير﴾، والكير زق ينفخ فيه الحدّاد، ﴿فحامل المسك إما أن يحذيك﴾، أي يعطيك وينفحك منه بشيء هبة، ﴿وإما أن تبتاع منه﴾، أي تشتري، ﴿وإما أن تجد منه ريحاً طيبة﴾، فتستفيد من حسن مجالسته، وتتأثر بزكي رائحته، ﴿ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك﴾، بما يتطاير من شرره، ويتصاعد من دخان ناره ﴿وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة﴾، تعافها نفسك، وينفر منها طبعك.

والعاقل من يختار أصحابه، وينتقي جلساءه، وينتخبهم من ذوي السيرة المحمودة، والرأي السديد، والدين المتين، ولا تؤاخي من لا يصلح للأخوة ولا يبر بالصدقة، ولا يراعي حق الوداد وأدب المجالسة والمحادثة، وجماع ما تقدم ما أوصى به علقمة العطاردي لابنه لما حضرته الوفاة، فقال: ﴿يا بني إذا صحبت إنساناً فأصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مئونة مانك، اصحب من إذا مددت يدك للخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمراً أعانك ونصرك، وإن تنازعتما في شيء أترك، فإن وافاك القدر وأسعدك الحظ بصاحب من هذا الطراز، وصدیق متشعب بالوفاء والإخلاص، فاظفر به وحافظ عليه، وأوثقه برابطة متينة، فهو خير سلوى في هذه الديار، وأفضل من يستودع الأسرار، ويلجأ له عند حدوث المخاوف والأخطار﴾.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ﴿لولا القيام بالأسحار، وصحبة الأخيار، ما اخترت البقاء في هذا الدار﴾، واحذر أن تغتر بمن يصاحبك بقصد الانتفاع، فذلك محض نفاق وخداع، ولتكن صحبتكما عن محبة خالصة.

والعاقل الفطن من لا يصادق صديقاً، ولا يؤاخي صاحباً إلا بعد الخبرة الشديدة والثوق التام، وخيراً للمرء أن لا يصحب من لا يُعتمد عليه، ولا يركن عند النوازل إليه. وعليك بمداواة الأشرار والفجار لتأمن شرهم، وتتقي ضرهم، ولا تخالطهم إلا بقدر الحاجة للغاية التي ذكرناها كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ.

روى البخاري ومسلم عن عائشة أن رجلاً استأذن النبي ﷺ فلما رآه قال: ﴿بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة﴾، فلما جلس تَطَلَّقَ النبي عليه الصلاة والسلام في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه! فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿يا عائشة، متى عهدتني فاحشاً؟ إن شرَّ الناس عند الله يوم القيامة من ودعه الناس اتقاء شرِّه﴾، وفي حديث أبي موسى الأشعري في المجلس الصالح حثُّ على مجالسة الصلحاء، والقرب من مجالس العلماء، فإما أن يحدِّثوك بما ينفعك في دينك دنياك، ويزودوك بنصائحهم الغالية، ومواعظهم القيمة، ووصاياهم الجامعة، وإما أن تنتفع لدى صمتهم بحُسن سميتهم، وكمال أدبهم، وعلى كلا الحالين

فلا تخرج من مجلسهم إلا وأنت متأثرٌ بهم وبحسن سيرتهم .
وإن جالست الفسقة الأشرار، فإن لم تنخرط في سلوكهم
فلا بد أن ينالك خبث رائحتهم واقتباس سيرتهم، فأخبرني أي
الصاحبين أثرت، وأي المجلسين اخترت ؟ .

وكأني بك تختار ما اختاره الله ورسوله لك، فهو الطريق
الأسلم والمنهج الأقوم، وكما قيل : لا تصحب من لا ينهضك
حاله، ولا يدلك على الله مقاله .

واستدل العلماء بهذا الحديث على طهارة المسك، إذ لو كان
نجساً لكان من الخبائث، ولم يحسن التمثيل به في هذا المقام .



المعلم الثالث المقصد الأسمى

خلق الله سبحانه الإنسان، وأسكن فيه الروح بشكل يحفظ عليه حياته، ويكون جسده وعاءاً لها، ليحيى حياةً تتناسب مع طبيعة الدنيا التي وجد عليها، ولذا فالقيم التي يتميز بها الناس في الدنيا تختلف عنها في الآخرة، والمعايير التي تسود في الدنيا تختلف عن تلك التي تسود الحياة الأخرى.

إن الإنسان في دنياه يجعل النتائج الآنية العاجلة هدفه الأول في حياته، تبعاً لطبيعته الدنيوية التي تتوافق ومقتضيات الحياة على وجه الأرض، في الوقت الذي تكون فيه الحياة الأخرى

نتيجة لما يقوم به الإنسان في دنياه من أعمال، وفي هذا اختبار لإرادة الإنسان ولقدرته على ضبط النفس، وفعالية الهوى، والتغلب على لذة عاجلة في سبيل اللذة الآجلة، والفوز في صراع بين حياة فانية وأخرى خالدة، في وقت جعل الله من طبيعتنا أن نحب الدنيا ونطرح الآخرة جانبا، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾^(١).

فالإنسان يميل بحكم طبيعته الدنيوية إلى ما يلبي حاجة الجسد، ويروي ظمأه من الشهوات، وما يفي باحتياجاته المادية التي تسود الحياة الدنيا، لأنها حاجات آنية يجد فيها ثمرة عاجلة تغريه باختطافها، ومن هنا كانت هذه الأمور الدنيوية هي المقياس الذي ينظر به إلى الناس للمفاضلة بينهم في الحياة الدنيا، والأساس الذي يمايز بينهم، والنهج الذي يسرون عليه في حياتهم، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٠﴾﴾^(٢).

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكرنا أن ما عنده في الآخرة هو

١. سورة القيامة، الآية (٢٠)، والآية (٢١).

٢. سورة آل عمران، الآية (١٤).

أفضل من كل ما نجده في دنيانا من الشهوات على اختلاف أنواعها
ومن الأموال والأنعام والأملأك، ذلك أن هذه كلها متع فانية، تزول
بزوال اللحظة التي وجدت وانتهت فيها، بينما تبقى متع الحياة
الأخرى خالدة بخلودها، دون أن يعقبا ندم أو يتلوا حسرة وألم.
ثم أتبع الله سبحانه وتعالى في هذا التعقيب الذي أورده في الآية
السابقة، فذكر الناس بأن يفاضلوا بين متع الدنيا الفانية وبين ما
ينتظرهم من جزاء في الآخرة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حُسْنُ الْمَآبِ ﴾^(١)، وحتى يشجع الناس على هذه المفاضلة وإتباع
ما فيه الخير لهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَوْ تَبِئْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ
ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٢).

وقد قصر الله هذا الجزاء على المتقين من عباده، للحث على
تقواه، ووصف مقابل متع الدنيا لهم التي يعايشونها بحواسهم،
ويعرفون حقيقتها بتجربتهم الخاصة، المتع التي وعدهم بها في
جنات الخلود من أشجار وأنهار وحياة حرّة كريمة لا فناء فيها، ثم
الأزواج المطهرة مقابل نساء الدنيا، وأخيراً رضوان الله عليهم،

١. سورة آل عمران، الآية (١٤).

٢. سورة آل عمران، الآية (١٥).

وهو بحد ذاته أعظم من كل ما سبق، ينالونه جزاء تقواهم، وهو الهدف الذي خلقهم الله من أجله، إذ لا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذا الرضا إلا بالتقوى، وقد أنهى الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ﴾، يعرف الجبلية التي جبلهم عليها، كما يعلم طباعهم وأخلاقهم، وما ينفعهم وما يضرهم، وما فيه مصلحتهم أكثر مما يعرفونه أنفسهم، ولم يترك القرآن الكريم مناسبة إلا وذكرنا دائماً بأن تقوى الله هو الهدف الذي يجب أن نسعى إليه، وأنها خير ما يمكن أن يتزود به الإنسان في حياته الدنيوية ليلقى بها الجزاء في الآخرة.

ثم أبان الله سبحانه وتعالى حقيقة الدنيا وحالنا فيها، فأخبرنا أننا نحيا فيها حياة مؤقتة ثم نموت بعدها، ثم نبعث من جديد ليلقى كل منا جزاء عمله، فقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾^(١)، وذكرنا بفضل التقوى، وأنها السبيل لنجاتنا، بعد أن عرفنا بمهمتنا في الدنيا، كما أخبرنا أن لباس التقوى هو خير لباس نعتز به، فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٢).

١. سورة الأعراف، الآية (٢٥).

٢. سورة الأعراف، الآية (٢٦).

إن مما يدل على قصر نظر الإنسان هو حكمه الفج على الأمور التي تحيط به والأحوال التي يتقلب فيها من نعيم أو مسرة، فهي نظرة تخالف نظرة الله إليها، فما يعتبره مغنماً قد يكون عند الله مغرماً، وما يكون في نظره نعيماً قد يكون عند الله عذاباً وجحيماً، فقد يمد الله للكافرين في أموالهم وأولادهم فيظنون ذلك نعمة لهم ورضاً عليهم، وما علموا أنها ستكون نقمة عليهم، قال تعالى في وصف حال هؤلاء مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

وقد وصف الله الدنيا بأنها ليست سوى لهو ولعب، يقضي بها الإنسان وقته ويملاً فراغه، كما يعمل الأطفال في لعبهم ولهوهم، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَلْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢).

وقال في موضع آخر، تأكيداً لما ورد في الآية السابقة، ومذكراً بأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية، تدليلاً على تفاهة الحياة الدنيا، وتوكيداً لرفعة الحياة الآخرة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ

١. سورة التوبة، الآية (٥٥).

٢. سورة الحديد، الآية (٢٠).

وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

ومن هنا يتبين أن همّ الناس في دنياهم هو التفاخر بما يملكون من متاع الدنيا ورياشها، يلهون ويلعبون، ثم يعود عزّ وجل ليذكرهم بأن الحياة الأخرى هي الحياة الحقيقية التي يجد فيها الإنسان طعم الحياة الأبدية، وينعم بها على حقيقتها، حيث النعيم المقيم والحياة السرمدية، ثم يصف الله سبحانه حياتنا الدنيا: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

هذا يعني أن الحياة الدنيا ستزول وكأن شيئاً لم يكن، كما تحمل الريح الهشيم لتلقي به في مكان سحيق، وهو يسير على الله تعالى لأنه قادر على كل شيء، وليس أدل على حقارة الدنيا وتفاهتها من وصفه جلّ وعلا لها بأنها لهو ولعب كما يلهو الصغار لقضاء وقت فراغهم، دون أن يخلفوا وراءهم شيئاً له قيمة، أو أثراً له جدوى، وأنها أشبه ما تكون بالنبات الذي يعجب الزراع حين يكون أخضر يانعاً، ثم لا يلبث أن يصفر وييبس ويزول، فتزول بذلك نصرته، بل ويزول بذلك وجوده، قال سبحانه وتعالى:

١ . سورة العنكبوت، الآية (٦٤) .

٢ . سورة الكهف، الآية (٤٥) .

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾^(١).

أما في الحياة الأخرى، فالمعيار الأول والأخير في المفاضلة بين الناس إنما هو التقوى والعمل الصالح، بعد الإيمان به سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)، وللتدليل على أفضلية الآخرة قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٣)، حيث سيكون تقويم الناس في الآخرة والحكم عليهم هو عملهم الصالح، لقوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٤).

فإما أن يكون من المفلحين فيدخلون الجنة، وإما أن يكون من الخاسرين فيدخلون جهنم خالدين فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٥).

-
١. سورة الحديد، الآية (٢٠) .
 ٢. سورة الحجرات، الآية (١٣) .
 ٣. سورة الضحى، الآية (٤) .
 ٤. سورة الزلزلة، الآية (٧)، والآية (٨) .
 ٥. سورة المؤمنون، الآية (١٠٢)، والآية (١٠٣) .



المعلم الرابع هدية الإسلام

لقد حثنا ديننا الحنيف على الأخلاق الحسنة، ولو تمثل الناس أخلاق دينهم لأدخلوا الناس في دين الله أفواجاً، وهذا أمر مجرّب، فكثير من بلاد المسلمين الذين يزيد عددهم فيها عن ٩٠٪، كان إسلامهم عن طريق بعض تجار المسلمين القدامى، حينما ذهبوا بتجارتهم المادية والأخلاقية إلى تلك البلاد، فإذا باعوا الناس قماشاً مثلاً أهدوا معه الصدق والوفاء والإحسان والصبر والكرم والسخاء، فيشتري الكافر منهم قطع القماش، ويأخذ معه هدية الإسلام، وذلك في معاملة واحدة، فكانوا يدخلون في دين الله

أفواجاً، خاصة تلك الأمم التي تسلط عليها حكامها، فنهبوا خيراتها وانتهكوا حرمتها، وسلبوا كرامتها، وكانوا يرون في الإسلام ملاذاً لهم، يجدون في تعاليمه العوض عما فقدوه، وقد اقتدى المسلمون بأخلاق نبيهم محمد ﷺ، الذي يشهد له رب العزة بالخلق القويم، فيقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، ويقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وقد ذكر سبحانه في الإحسان وحسن الخلق قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣)، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

وفي الحديث الصحيح: ﴿أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم﴾^(٥)، ولما سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن البر والإثم، قال: ﴿البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في

١. سورة القلم، الآية (٤) .

٢. سورة آل عمران، الآية (١٥٩) .

٣. سورة فصلت، الآية (٣٤) .

٤. سورة آل عمران، الآية (١٣٤) .

٥. رواه أبو داود .

صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ﴿^(١)﴾، ويقول عليه الصلاة والسلام: ﴿اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ﴿^(٢)﴾، وفي رواية ﴿وخالط الناس بخلق حسن﴾، ويقول أيضاً صلوات ربي وسلامه عليه: ﴿ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء﴾ ﴿^(٣)﴾، وسئل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ﴿تقوى الله وحسن الخلق﴾ ﴿^(٤)﴾، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: ﴿الفم والفرج﴾.

وعن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ﴿أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان محققاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه﴾ ﴿^(٥)﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون،

١. رواه مسلم .

٢. رواه الترمذي .

٣. رواه ابن ماجه .

٤. رواه الترمذي .

٥. رواه أبو داود .

والمتفیهقون ﴿﴾ . قالوا: یا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون،
فما المتفیهقون ؟ ﴿﴾ قال: المتكبرون ﴿﴾^(١) .

إن مما يعتز به الفرد، ويرتفع به المجتمع، وتعلو به الأمم إلى
أوج العلا والكمال، هو اتصافهم بالأخلاق الكريمة، والصفات
الحميدة، والسجايا الفاضلة والمزايا الحسنة، حتى يكون لهم
القدح المعلّى في ذلك على سائر الشعوب والأمم .

وإن أجلّ من اتصف بتلك الصفات، وأحسن من تخلق بهذه
المزايا والخصال هم أصحاب رسول الله ﴿﴾ بما كانوا عليه من
نفوس متواضعة، وقلوب بيضاء نقية، وصدور سليمة من الأحقاد
والأضغان .

حصل نزاع بين أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري السابق في
الإسلام، وبلال الحبشي مولى أبي بكر الصديق ومؤذن رسول
الله ﴿﴾، قال أبو ذر لبلال، معيراً له بأمه: يا ابن السوداء .
فشكاه بلال إلى الرسول ﴿﴾، فقال لأبي ذر: ﴿﴾ يا أبا ذر !
أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية ﴿﴾، يعني خصلة من
خصالها، وخلق من أخلاقها التي قضى عليها الإسلام، وذلك
بمجاورة خصمك في سبابه بمن لا حق لك عليه من أبيه وأمه، ثم

١ . رواه الترمذي .

أتبع ذلك بوصية قيمة ونصيحة ثمينة، فقال: ﴿إخوانكم﴾ في الإسلام من العبيد والأرقاء والإماء، ﴿خولكم﴾ خدم لكم يصلحون من شأنكم ويقومون بأعبائكم، ﴿جعلهم الله تحت أيديكم﴾ في الملك والتصرف، ﴿فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل﴾ أي من جنس ما يأكله من ألوان الطعام وأصنافه، من غير تفريق بين السيد والمسود على أساس المساواة في الإسلام ﴿وليلبسه مما يلبس﴾.

ولذا لقي المعرور بن سويد أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسأله عن ذلك، فروى له هذا الحديث، ﴿ولا تكلفوهم ما يغلبهم﴾ بأن يكون التكليف شاقاً مضمناً لا يستطيعون القيام بأعبائه ﴿فإن كلفتموهم فأعينوهم﴾ بأنفسكم أو بضم خدم إليهم.

بهذا القدر الوجيز انتهت وصية السيد الحكيم لأبي ذر، وما كاد أبو ذر يسمع هذه المقالة، حتى هانت عليه نفسه، وذهبت حدّته، فألقى خده على التراب، ثم قال: لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه.

بمثل هذه الأخلاق الكريمة، والنفوس السامية، والقلوب النقية بلغ المسلمون ما بلغوا من عز ومجد، وعظمة وفخار، فأين نحن

اليوم من منازعات الأحزاب، ومنافسات الأقران من الزعماء
والحكماء التي أدت بنا إلى ما نراه ويراه الناس .

هذا نموذج يسير ومثال بسيط من منازعات الصحابة ورجوعهم
إلى الحق، واقتفاءهم منهج العدل والصدق، أوردناه ليكون تذكرة
لمسلمي عصرنا في منازعاتهم، علّهم يقتفون أخلاقهم، ويسيروا
سيرهم، ليسودوا كما ساد الأولون من آبائهم الأكرمين، حماة
الشرع والدين .



المعلم الخامس صناعة الرجال

الإيمان بالله له أثرٌ فعّالٌ في حياة الإنسان، وهو يبدد ظلمات الحياة ويدخل الأمل إلى القلوب، ففي ساعة الفشل واليأس يتذكر المؤمن أن هناك ملاذاً يلجأ إليه، وهو الله سبحانه، القادر على معونته، وأن ما يصيبه من ضررٍ سيؤجر عليه، فتطمئن نفسه، وتصغر أمامه الأهوال، وتهون المصاعب، لذلك ترى المؤمن دائماً منشرح الصدر، وهادئ النفس، لا يشكو قلقاً، ولا يعاني مرضاً نفسياً أو عصبياً.

أما غير المؤمن فهو فريسة للأمراض النفسية والعصبية

والجسمانية، وهدف للتعلق بالأوهام، إن أصابته مصيبة عيل لها صبره، وضافت عليه الأرض بما رحبت، وهام في أودية السهر والسُكر، فينتج عن ذلك مرض يقعه، أو موت يفاجئه، أما الإنسان المؤمن الذي يتخذ ربه مولياً وعضداً، فتقوى روحه المعنوية، فيتغلب على كل ما يعترضه من مصائب وعقبات.

والإيمان بالله يفجر ينابيع الخير في قلب الإنسان، ويخفف من أهوائه الضارة وأنانيته، ويبعده عن الشرور والآثام، فيسعى الإنسان في خدمة الجماعة، لأنه، فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته، هذه العقيدة التي تتمثل بأن الله مطلع على أفعاله، وأنه سيحاسبه عليها يوم القيامة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، من هنا تظهر لنا العلاقة الوثيقة التي تربط بين الإيمان والعمل الصالح، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان بالله، لهذا قرن الله في القرآن الإيمان بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى:

﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾^(١) أكثر من خمسين مرة، مع الوعد والبشرى لمن يتحلى بهما بالسعادة في الدنيا والآخرة.

١. سورة البقرة، الآية (٨٢).



المعلم السادس الضرورة الاجتماعية

التواصي بالحق ضرورة اجتماعية، والأخذ بالحق عسير ؛ لأنه ضد أهواء النفس وضد المصالح الخاصة، وضد طغيان الحكام وظلم الأفراد، من هنا لم يأمر الإسلام متبعيه الأخذ بالحق فقط، بل أمرهم بالتواصي به، والتواصي يشمل الأخذ بالحق وحث الغير عليه، ولهذا يعيشون بالحق، ويصبح الحق هو المسيطر على كل منازعاتهم، وبهذا يقضي على كل خلاف في جماعة.

فالتواصي بالحق هو المشاركة بين جميع أفراد الأمة في قاسم مشترك هو الخير لوجه الخير، وفي سبيل خير المجموعة، قال

تعالى: ﴿تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١).

والإسلام أشاد بالحق حتى كان الحق اسماً من أسماء الله تعالى، جاء في القرآن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾^(٢).

وخاطب الله رسوله محمد ﷺ مبيناً حقيقة الشريعة الإسلامية التي أنزلها عليه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣)، وإن شريعة الإسلام هي الحق الذي لا ريب فيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٤)، كما بين الله سبحانه بأن الحق لا بد وأن يقهر الباطل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٥).

ولما كان الحق وقعه ثقيل على النفس، والتواصي به تلازمه المحن والصعاب، وذلك يقتضي بدوره صبراً، فلذلك قرن الله التواصي بالصبر مع التواصي بالحق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٦)، والصبر أقسام:

١. سورة العصر، الآية (٣).

٢. سورة الحج، الآية (٦٢).

٣. سورة البقرة، الآية (١١٩).

٤. سورة النساء، الآية (١٧٠).

٥. سورة الأنبياء، الآية (١٨).

٦. سورة العصر، الآية (٣).

• صبر على أداء الطاعات التي فرضها الإسلام ودعا إليها.

• صبر عن اقتراف المعاصي التي نهى الله عنها.

• صبر عند نزول البلاء ومعاناة المصيبة.

وأعلى درجات الصبر ما يكون عند الصدمة الأولى للفاجعة، فإنه يدل حينئذ على رباطة جأش وقوة في النفس، وصلابة في العقيدة، ولهذا يقول النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ﴾^(١).

والصبر أساس كثير من الفضائل، فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إلى الصبر، وقد حضَّ الله المؤمنين في القرآن على الصبر في كثير من الآيات - ربما يوازي عددها الثمانين آية -، وأثنى على الصابرين، ووعدهم بأرفع مراتب الجزاء، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَوِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢)، ﴿ وَاصْبِرْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣)، ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٤).

١. رواه البخاري.

٢. سورة الزمر، الآية (١٠).

٣. سورة الأنفال، الآية (٤٦).

٤. سورة هود، الآية (١١٥).

وقد كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ، إذا التقيا لم
يفترقا حتى يقرأ أحدهما على صاحبه سورة العصر، ليذكر كل
واحد صاحبه بما يجب أن يكون عليه في تصرفاته وأفعاله.



المعلم السابع المعيار الحقيقي

إن الناس سواسية كأسنان المشط، فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لسيد على مسود، ولا لملك على صعلوك، إلا بالتقوى؛ فالمعيار الصحيح والميزان الحق للتفاضل بين الأفراد والجماعات، والترجيح بين مختلف الطبقات والهيئات، ما جاء في الوحي الإلهي عن رب السموات والأرضين: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

أخرج البخاري ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة

١. سورة الحجرات، الآية (١٣) .

من بني مخزوم سرت، فقالوا: من يكلم النبي ﷺ فيها؟ فلم يجترئ أحد أن يكلمه، فكلمه أسامة بن زيد، فقال: ﴿إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها﴾. فليس الكريم من عظم ماله، وكثر رجاله، واستسلم له الناس طائعين أو مكرهين، بل الكريم من اتصف بالتقوى، وراقب الله في السر والنجوى، وعامل الناس بالعدل، ولم يراع الرتب والدرجات والحسب، والبيوتات والشرف والسيادات، فالكل وفق تسوية الله لهم سواسية في الواجبات والحدود والعبادات.

وفي التاريخ: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر، مسترسل في خطبته، وهو يقول: اسمعوا رحمكم الله، فقام إليه سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع. فقال: ولم يا أبا عبد الله؟ فقال: يا عمر، تفضلت علينا في الدنيا، فرقت علينا برداً برداً، وخرجت تخطب في حلة منها، فقال: أين عبد الله بن عمر؟ فقال: ها أنا يا أمير المؤمنين، قال: لمن أحد هذين البردين الذي عليّ؟ قال: لي. فقال لسلمان: عجلت عليّ يا أبا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت ثوب عبد الله، قال: أما الآن فقل، نسمع ونطع.

ولقد علا عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص بالدرّة، وذلك أن عمر أتى بمالٍ فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرّة وقال: أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحبيت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك.

وأقام عمر رضي الله عنه الحدّ على ولده، وأنصف من نفسه، في قصص مشهورة.



المعلم الثامن الحمية الإسلامية

الإتحاد حياة الأمم، وقوام الشعوب، وأساس العمران، والتفرق والتحزب مدعاة الخراب والدمار، ومؤذن بالزوال والخسران، والأمة الإسلامية جسم واحد مركب من عناصر شتى، وقوميات مختلفة، هم أعضاء هذا الجسم العامل، فإن تألم أحد الأعضاء والأطراف تألم له الجسم بأكمله.

والرابطة الدينية رابطة قوية، وصلة متينة بين أفراد المسلمين على اختلاف قومياتهم، وتباين أجناسهم، حقق الله بها الأخوة بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١).

١. سورة الحجرات، الآية (١٠).

والدين الإسلامي دين يحبذ الروابط، والغايات النبيلة، ورابطة
الدين لا تمنع صاحبها من المشاطرة ببقية الروابط الاجتماعية،
والأدبية، والوطنية العاملة كما يتوهمه بعض الأغبياء، أو يروّجه
أعداء الأديان من أهل الخبث والدهاء، ويموهون به على كثير من
العامة والجهلاء، تنفيراً للناس من التدين، وتضليلاً لعقولهم.

فالدين محض خير من الله، لا يأمر إلا بمعروف وحسن، ولا
ينهى إلا عن منكر وقبيح، وهو الذي يحض أتباعه بموجب الوحي
الإلهي على الوحدة والاجتماع، ودم التفرق والاختلاف، وإن
شئت فاقراً قول الله جل شأنه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١).

وهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى
الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣).

وفي السنة: ﴿ليس منا من دعا إلى عصبية﴾، وما أخرجه
البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جابر رضي الله عنه قال:

١. سورة الشورى، الآية (١٣).

٢. سورة الحجرات، الآية (١٣).

٣. سورة المائدة، الآية (٢).

غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يالأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين، فخرج النبي ﷺ، فقال: ﴿ ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ﴾، ثم قال: ﴿ ما شأنهم؟ ﴾، فأخبر بكسع المهاجري للأنصاري، فقال النبي ﷺ: ﴿ دعوها فإنها منتنة ﴾، وقال عبدالله بن أبي ابن سلول: قد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل - يا رسول الله - هذا الخبيث عبدالله؟ فقال النبي ﷺ: ﴿ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ﴾.

الإسلام هو الماحي للعصبية الجاهلية، ومقوض أركانها، وهادم بنيانها، وهو الغارس في هذا العالم مبادئ السلام والإخاء، بعد أن عمّه الظلم والشقاء وتحكم الأقوياء بالضعفاء، ولذا من الله على المؤمنين بالوحدة، وأمرهم أن يذكروا ما كانوا عليه قبل الإسلام من العداوة والبغضاء والتخاذل والشحناء، ليشكروا الله على ما أولاهم من نعمة، وشملهم به من رحمة.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ

شَفَا حُفْرَةَ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ﴿١﴾، وأما حمية الجاهلية من عدم الإذعان للحق، ونصرة الباطل، فوصف سبحانه وتعالى مشركي مكة بقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (٢).

وكره النبي ﷺ العصبية الذميمة المتعارفة عند العرب في الجاهلية من نصرة الأخ أو القريب والحليف، وإن كان متعدياً ظالماً، ومن تأخر عن هذه النصرة الباطلة، أصلاه الشعراء ناراً حامية، وألصق العار به وبقبيلته المنتمي إليها.

١. سورة آل عمران، الآية (١٠٣) .

٢. سورة الفتح، الآية (٢٦) .



المعلم التاسع ملاك الدين

أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب﴾.

هذا حديث كبير الموقع، عظيم الفائدة جليل القدر، لما اشتمل عليه من الأحكام الكثيرة والفوائد الغزيرة، وقد أجمع العلماء على جلاله قدره ووصفوه بالأوصاف الجليلة الحسنة، قال أبو داود السجستاني: الإسلام يدور على أربعة أحاديث، ذكر منها هذا الحديث.

ويرشدنا السيد الحكيم في هذا الحديث الشريف إلى الابتعاد عن مواطن الشبه ومواقف الريبة ومواقع الظنون والتهم، ويبين لنا الحلال والحرام وما يدور بينهما من المشتبهات، فهو يقول: ﴿الحلال بينٌ﴾ واضح، وهو ما أذن الشارع بتعاطيه بنص القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وذلك كحلّ الطيبات بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^(١).

﴿والحرام بينٌ﴾، وهو ما نهى الشارع عن تعاطيه وأمر بالانكفاف عنه، بنص القرآن أو كلام الرسول ﷺ، كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾^(٢) إلى آخر الآية الكريمة.

﴿وبينهما مشبهات﴾ أي شبهت بغيرها، من الوسائط التي

١. سورة المائدة، الآية (٥) .

٢. سورة النساء، الآية (٢٣) .

يكتنفها دليان من الطرفين، فمن ملحق لها بطرق الحلال لاقتضاء الدليل الشرعي لشبه لها فيه، ومن ملحق لها بطرق الحرام لاقتضاء الدليل لشبه لها فيه من وجه آخر.

فتتنازع آراء العلماء والمجتهدين بالحدز والإباحة أو الفعل والترك، فمن قائل إنه حلال، ومن قائل إنه حرام، لتعارض الأدلة والنصوص، فالورع والترك في مثل هذه الأحوال أولى، وذلك كأكل لحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع أو مخلب الطير، فإن ظاهر الحصر بقوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(١)، فتدل على حل ما ذكرناه، وجاء في الحديث عن النبي النهي عنها، ولهذا اختلف العلماء في القول بحلها وعدمه.

ومن المشبهات أيضاً ما جاء في حديث الصحيحين من حديث عائشة، قالت: ﴿اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: يا رسول الله، هذا ابن أخي عتبة ابن أبي وقاص، عهد إلي أنه ابنه، انظر إلى شبهه، وقال عبد ابن زمعة: هذا أخي يا رسول الله، وُلد على فراش أبي من وليدته.

١. سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

فنظر رسول الله ﷺ، فرأى شبهاً بيناً بعتبة، فقال: ﴿ هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش، وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة. فلم تره سودة قط ﴾.

فقد حكم رسول الله ﷺ بالولد للفراش وأنه لزمعة على الظاهر، وأنه أخو سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ، وذلك على سبيل التغليب لا على سبيل القطع، وأمر سودة بالاحتجاب منه للشبهة الواقعة والأخذ بالأحوط.

ومن هذا الباب أيضاً الأمور التي لا تطمئن إليها النفس ولا يركن إليها الضمير، فتركها والابتعاد عنها خير وأولى، على حدّ قوله عليه السلام في حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: ﴿ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ﴾^(١)، وكرهه عليه السلام التمرة الساقطة على الأرض خشية أن تكون صدقة، وقال: ﴿ لولا أن تكون صدقة لأكلتها ﴾^(٢).

ومنها ما جاء في حديث عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله، إنني أرسل كلبني وأسمي عليه، فأجد معه على الصيد كلباً آخر! قال: لا تأكل، إنما سميت على كلبك، ولم تسم على غيره^(٣). فلم

١. رواه الترمذي .

٢. متفق عليه .

٣. متفق عليه .

يفته بالحلّ خشية أن يكون الكلب الذي قتله غير مسمّى عليه .
وليس من باب ترك المشتبهات، ما يفعله العامة من الجهلة
كترك استعمال ماء مطلق لم يتغير شيء من أوصافه، خشية
تقدير نجاسة فيه لا علم له بها، أو كترك الصلاة في مكان لا أثر
فيه للنجاسة مخافة أن يكون به بول قد جفّ وما أشبهه، فليس
هذا من الورع في شيء، وإنما هو نتيجة هوس في عقل من يتحرز
منه وانقياده لوسوسة شيطانه .

ثم قال عليه السلام: ﴿ لا يعلمها كثير من الناس ﴾ أهى
من الحلال أو الحرام، وقد يعلمها بعضهم من أي الفريقين
هي، فبالنسبة لمن علمها تكون من الحلال البين أو الحرام
البين، ﴿ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ ﴾ يعني طلب البراءة
﴿ لعرضه ﴾ من الطعن ﴿ ودينه ﴾ من النقص، وبين ﴿ ﷺ ﴾
في هذه الفقرة وما يليها أن من اتقى الشبهات، يتحامى عنها
ويطلب البراءة منها، كان ولا ريب أشدّ تحامياً وابتعاداً من الحرام
البين حرمة، ومن نشطت نفسه ودفعته جرأته للوقوع فيها، ولم
يتحاش المكرهه، ولم يأبه لخلاف الأولى، كان استهتاره سبباً
مؤدياً لوقوعه في الحرام واقترافه الآثام، فعلى العاقل أن يقطع
الطرق المؤدية والسبل الموصلة إلى اقتراف محارم الله تعالى،

وليجعل بينه وبين محارمه سبحانه حاجزاً مانعاً، وسدّاً حصيناً.
﴿ومن وقع في الشبهات﴾، التي أشار إليها النبي ﷺ في
هذا الحديث، فمن قائل من العلماء أنه وقع في الحرام، لقوله:
﴿فقد استبرأ لعرضه ودينه﴾ وقالوا: ومن لم يستبرئ لعرضه
ودينه فقد وقع في الحرام. وأرى أن هذا الرأي بعيد حمله على
سائر أنواع الشبهات، وإن صحَّ حمله على بعضها فلا يصح حمله
على الباقي، وقال آخرون: هي حلال، بدليل قوله في الحديث
﴿كالراعي يرعى حول الحمى﴾ ففيه دلالة على أنه حلال وأن
من الورع تركه، وطائفة توقفت عن القول بأنها من الحلال أو
الحرام، وتوقفها من باب الورع أيضاً.

ثم ضرب ﷺ مثلاً لمن يحوم حول الشبهات بقوله:
﴿كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقع﴾ وهذا مثل ضربه
النبي ﷺ لمحارم الله تعالى التي نهى عباده أن يقربوها، وذلك
على عادة الملوك والسلاطين أن تحمي أرضه، وينادي في الناس
بتواعد العقوبة لمن يقربها، فالراعي الحذر الفطن يبتعد عنها، ولا
يقرب منها؛ مخافة الوقوع فيها، وأما من قرب من الرعاة منها
فلا يأمن أن تشرد شاة فتقع فيها، وكذلك المؤمن الحذر يبتعد
عن الشبهات مخافة الوقوع في الحرام فيأثم.

وللسلف الصالح حكايات بليغة وقصص عجيبة دالة على شدة ورعهم، وقوة إيمانهم، وذلك كترك ابن أدهم أجرته لشكّه في وفاء عمله، وطوى من جوع شديد، وكما أثر عن الإمام النووي أنه مكث مدة إقامته في الشام لا يأكل من ثمارها لما قيل: إن في بساتينها بستاناً ليتيم، ومكثت السيدة بديعة الأيجية بمكة أكثر من ثلاثين سنة لا تأكل مما يجلب من بجيلة من ثمار ولحوم وغيرهما، لما قيل إنهم لا يورثون البنات، وامتنع أبوها نور الدين من تناول ثمر المدينة لما قيل له إنهم لا يزكون، وقالت أخت بشر الحافي للإمام أحمد بن حنبل: إنا نغزل على سطوحنا فيمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أيجوز لنا أن نغزل في شعاعها؟ فقال: من أنت عافاك الله؟ فقالت: أخت بشر الحافي، فبكى رحمه الله وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها.

والحكايات في هذا الموضوع عن السلف أكثر من أن تحصى.
﴿ألا وإن لكل ملك﴾ من ملوك العرب ﴿حمى﴾ يحميه لرعي مواشيه، وتوعد من رعى بغير إذنه بالعقوبة والبطش، ﴿ألا وإن حمى الله محارمه﴾ يعني معاصيه التي حظرها على عباده، كالزنا، والسرقه، وشهادة الزور، وغيرهم من الجرائم والموبقات.

﴿ألا وإن في الجسد مضغة﴾ أي قطعة لحم، سميت بذلك لأنها قدر ما يمزج الفم لصغرها، وعُبر بها عن القلب بحسب الرؤية الظاهرة، وإنما المراد بالقلب هنا العقل الذي ميّز الله به الإنسان، وفضّله به على سائر الحيوانات والمخلوقات، فهو قائد الجسم وسيد البدن، والأمر الناهي لبقية الجوارح والأعضاء، فصلاحه صلاح لها، وفساده فساد لها.

كما قال ﴿ﷺ﴾: ﴿إذا صلحت﴾ أي المضغة المعبر بها عن القلب - والمراد به العقل -، ﴿صلح الجسد كله﴾ تبعاً لها، ﴿وإذا فسدت فسد الجسد كله﴾ بالتبعية لها أيضاً، ﴿ألا وهي القلب﴾ وهناك القلب الصنوبري موزع الدم في عروق الجسم، ومصلحه بعد فساده.



المعلم العاشر الحياة الهادئة

جاء الإسلام إلى الدنيا ليملاًها سلاماً وأمناً واطمئناناً، ونادى المؤمنين بهذا السلام الحقيقي والأمن الإلهي، فقال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١)، فأورث الإسلام المسلم الطمأنينة والسعادة والهناء، وجعله يشعر بالحق والأمن والإخاء، وحفظ له حرمة وصان له كرامته، ولهذا نجد الرسول يحافظ على سلامة تلك النفس المسلمة، أخرج أبو داود في سننه

١. سورة البقرة، الآية (٢٠٨).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع الرجل، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: ﴿ من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلغنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه ﴾^(١)، فترى كيف أن الرسول يراعي حرمة المسلم، ويحافظ على شعوره ونفسه وإحساسه، فينهاه عن ترويعه وعن إزعاجه وإن كان ذلك مزاحاً أو ملاحظة، فإنه لا يحل ولا يجوز، بل تعدى ذلك إلى أن الملائكة تلعن من يروّع أخاه أو يشير إليه بما يؤذيه أو يزعجه، إلى هذا الحد بلغت حرمة المسلم، وبلغ الحرص عليه وعلى أمنه وسلامته، فكيف يقول اليوم من يرى المسلم في شتى أنحاء المعمورة لا يهدأ له قرار أو ترقأ له دمعة، أو يسكن له نحيب، أو يسلم له عرض، أو يحقن له دم، فهو مسالم لم يقترب ذنباً، مخلص لم يتلبس بجرم أو خيانة، حسن الجوار، هادئ الطبع، لطيف العادة، طاهر العقيدة، فلما تتكالب الدنيا عليه كالأكلة على قصعتها، وتبعه سمسرة

١. رواه مسلم .

الأحقاد كالرقيق في النخاسة، أو كالسلعة بين أصابع التجار تتلف ولا رحيم، وينادي ولا مجيب من عدو ولا حبيب، ويسأل المسلم نفسه: لم كل هذا؟ ماذا اقترفت؟ ما الذي جنيته؟ فلا يسمع إلا رجعَ تساؤله، وصدق استفساره، وزفرات نفسه، وأنين توجعه، ويحدث نفسه ويخاطب فؤاده فيقول: أين المدينة؟ أين دعائها؟ أين الإنسانية؟ أين المبادئ وأين سدنتها؟ ذاب كل هذا في غياب العقيدة، وتواري الهداية.

أقول: قد يكون هذا جزء من الحقيقة التي فاقت الخيال وجاوزت التصور، ولا أرى بعدها إلا الكارثة للعالم، وهذه هي مقدمات الأحقاد والنوازل، ولكن هل يعز على النابهيين من المسلمين أن يعرفوا الحقيقة، أو يشخصوا العلة التي أنهكت الجسد المسلم؟ كلا! فإن الداء يكمن أولاً في الفرد نفسه، حيث نسي عهده مع ربه، وأتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان، وهذا أول خطأ: فقدان الذات وضياع المهمة، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك، فقال - عز من قائل - : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كذَّبُوا بِآيَاتِنَا فاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ .

وثانيها: حياته في أرضه وعزته في وطنه، وقدماً قالوا:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام

فإن المسلم يحتاج في وطنه إلى إيمان وإصرار وتفتح وعزيمة، فلا يتكاسل عن معرفة، أو يعجز عن اختراع، أو يقعد، أو يسكت على هوان.

ثالثها: أن يرجع إلى الوحي، ويتعرف على كتابه، وينهل من سنة نبيه، ويتصل بالسلف الصالح، ويتأسى بالقدوة الحسنة، كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢﴾، ويوم أن يسير المسلم على هذا، يوم أن ترجع إليه روحه، وتعود إليه شخصيته، ويسترد قوته، ويناديه الزمان من جديد، وتسعد به الحياة وقد فقدته، وتهنأ به الأيام وقد تشوقت إليه، يومها يسمع نداء القرآن الحبيب: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٣﴾ .

١. سورة الأعراف، الآية (١٧٥)، والآية (١٧٦) .

٢. سورة الأحزاب، الآية (٢١) .

٣. سورة الإسراء، الآية (٨١) .



المعلم الحادي عشر شموس الدنيا

العلماء مصابيح الهداية وشمس المعرفة، وأقمار الحقيقة، ونجوم الإرشاد بهم يهتدي الضال، ويسترشد التائه، ويستنير الجاهل، ميّزهم الله ببسطة علمهم ووفرة ذكائهم، وحادّة فكرهم، وسداد رأيهم، فهم قادة الفكر وأئمة الرأي، وأطباء النفوس، القائمون بنشر المعارف فيحلون مشكلها، ويوضحون غامضها، ويبينون مجملها، اختارهم الله لميراث أنبيائه، وأمانة شريعته، وقيادة خليقته، فقاموا بحق الميراث، فأدوا الأمانة، وأحسنوا القيادة، والحق أنهم الدواء الناجع، والترياق الشافي لما استعصى من سيء الأخلاق والعادات.

يهدمون ما أسسه الغوغاء، وأقامه السفهاء، فأقوالهم فصل الخطاب، وفعالهم شرعة غراء، وصفهم الله بأوصاف جليلة حرية بهم جديرة بأمثالهم، في مواضع شتى وآيات متفرقة، تنبيهاً على علو شأنهم ورفعة مكانهم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٣)، وقال - عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، وأمر الله نبيه أن يدعو بما علمه القرآن: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥)، وقال سبحانه في تفخيم شأن العلم، وقد سماه حكمة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٦).

والنبي يشيد بمكان العلم وأهله، فهو يقول: ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة﴾، ويقول: ﴿إن الملائكة لتضع

١. سورة الزمر، الآية (٩) .

٢. سورة المجادلة، الآية (١١) .

٣. سورة آل عمران، الآية (١٨) .

٤. سورة فاطر، الآية (٢٨) .

٥. سورة طه، الآية (١١٤) .

٦. سورة البقرة، الآية (٢٦٩) .

أجنتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ﴿^(١)﴾، وهو القائل لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: ﴿لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وملء ما فيها﴾ ﴿^(٢)﴾.

فكثرة العلماء في الأمة، والتفاف الناس حولهم، دليل واضح، وبرهان ساطع، وحجة دامغة على مبلغ رقي الأمة وتقدمها في حلبة الفضائل والكمال، كما أن قلتهم وانفضاض الناس من حولهم مشعر بانحطاط الأمة وتأخرها، وذلك لأسباب فشو الجهل وقلة العلم، وبهما يكون الهلاك والعطب، وهذا ما خشيه السيد الحكيم المصطفى ﴿ﷺ﴾.

فأعظم الفواجع وأكبر المصائب موت العلماء وفقد الفضلاء، وعلى الخصوص إذا لم يتركوا خلفاً يسد فراغهم، ويشغل مكانهم، وبموت العالم ينطفئ مصباح الهدى، وينهدم ركن الإرشاد، ويثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه.

فليُغتنم طلب العلم بحياة العلماء، وليسع الحضور مجالسهم، وأخذ العلم عنهم، وإلا تصدّر المجالس من ليس أهلاً، وأفتى من ليس بينه وبين العلم مصاهرة ولا نسب، فيعم الجهل، ويعظم

١. رواه أبو داود .

٢. متفق عليه .

الخطب، وتُغيّر الأحكام، فيُحرّم الحلال، ويحلّل الحرام، وتهدد الأمة بالزوال والخسران.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم ؛ فضلوا وأضلوا ﴾ .

المعلم الثاني عشر ما يهدم الإسلام

الإسلام دين الحق والهدى، وهو دين كامل شامل لا يحتاج إلى شيء يكمله أو يحسنه، لأنه ينطوي على قضية صلاح الدنيا والآخرة، ومما يؤسف عليه أن الناس أحدثوا في معتقداتهم محدثات ظناً منهم أنها تزيدهم قرباً من الله، وابتدعوا أموراً قصدوا بها المبالغة في طاعة الله، ومن ذلك أن يترهب المسلم وينقطع للعبادة، وأن يلتزم الصوم والصمت، وأن يطوف بالأضحية ومزارات الأنبياء والأولياء رغبةً في بركتها، مع أن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة المشرفة، وكثير من الناس يتمسكون بعادات

واهتمامات وتقاليد يحسبون أنها من الدين في شيء، مثال ذلك ما نشاهده من منكرات في المآتم والأفراح والموالد وزيارة المقابر وحفلات الزار، ولا شك أن كثيراً من هذه الخرافات والعادات السيئة والبدع المخالفة للدين انحدرت للمسلمين من عصور الجهل والتأخر، وهي من أسباب استخفاف غير المسلمين بنا، وظنهم أن ديننا يدعو إلى هذه المساخر وأمثال هذه البدع السيئة التي لا سند لها في الدين، وإنما هي أمور دخيلة ومدسوسة، فمثلاً ترجع فكرة الموالد إلى ما كان يفعله غير المسلمين لأحبارهم وقدسيهم، ثم أدخلها على المسلمين بعض حكامهم لأغراض سياسية، ثم استغلها من جاء بعدهم من أدياء أرباب الطرق، وجعلوها تجارة لهم، وأخذوا يطوفون بالأمصار والقرى، ويكلفون أتباعهم نفقات تثقل كاهلهم في سبيل إقامة السراقات وإطعام الطعام، وقد فرقت هذه البدع المسلمين شيعاً وأحزاباً، بما يلقيه كل شيخ مغرور في نفوس أتباعه من أنه وحده على الحق، وقد آن الأوان للقضاء على هذه البدع واستئصال شأفتها، لأنها جلبت على الناس الفقر والذل والهوان، وصاروا عبيد التقليد الأعمى، كما أنها سبيل إلى الشرك الخفي بما توحيه إليهم من أن لغير الله قوة وإرادة في تصريف أمور العباد.

وكم في عالمنا العربي والإسلامي من جهل مطبق، أعمى
السُدج والبسطاء عن نور الحق، حتى استغلّتهم المرتزقة باسم
الدين والتصوف أسوأ استغلال، وهذا هو شأن المتاجرين بالدين.
والابتداع في الدين مذموم لقوله ﷺ: ﴿من عمل عملاً
ليس عليه أمرنا فهو رد﴾^(١)، وأما من يسن لإخوانه سنة حسنة
كالتضحية بالمال والنفس في سبيل الله وللإسلام، والتعاون على
البر والتقوى بإنشاء المؤسسات الخيرية والإسلامية، والدعوة إلى
المعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة البدع التي تعددت ألوانها،
وأمعن الناس في ارتكابها، وتعاموا عن شرها وخطرها، فمثل هذه
السنن الحسنة مما يمتدح في الشرع، ويكون لفاعلها أجرها وأجر
من عمل بها إلى يوم القيامة، وليعلم المسلمون أن ديننا بريء
من كل هذه البدع السيئة، وأنه لا يرضى عن أصحابها، وعليهم
وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وليطمئن كل غيور على
الدين بأن كل هذا الزيف في الأمور الدينية سوف ينتهي بفضل
العلم والوعي والقضاء على الجهل، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

والبدعة أصل مادتها الاختراع على غير سابق مثال، ومنه

١. متفق عليه، واللفظ لمسلم .

٢. سورة الرعد، الآية (١٧) .

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، أي مخترعها من غير مثال سابق.

وأما البدعة شرعاً فهي الحدث في الدين بعد الإكمال، أي بعد النبي ﷺ. ولخطورة البدعة في منهج الإسلام فقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالأحاديث التي تحذر من ارتكاب البدع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾^(٢).

في رواية لابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته﴾^(٣).

عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ لبلال بن الحارث يوماً: ﴿اعلم يا بلال. قال: وما أعلم يا رسول الله؟ قال: اعلم أن من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي، كان له من الأجر مثل من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً﴾^(٤).

١. سورة البقرة، الآية (١١٧).

٢. رواه البخاري ومسلم.

٣. رواه ابن ماجه.

٤. رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.

صورٌ من البدع بعض البدع الواردة في العبادات

(١) الطهارة:

- أ) إنكار المسح على الخفين .
- ب) الاكتفاء بمسح الرجلين دون غسلهما مع عدم وجود خف . أو أي ساتر لها .
- ج) الإسراف في الماء .
- وهذه بدعٌ مفسدة .

(٢) الصلاة:

- أ) عدم رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الإحرام .
- ب) عدم الطمأنينة في الركوع والسجود والقيام .
- ج) المصافحة بعد السلام من الصلاة .
- د) الذكر والدعاء جهرًا بعد الصلاة .

(٣) الجنائز:

- أ) قراءة القرآن على الميت جماعة في المقبرة .

ب) البناء على القبور ووضع صور الميت أو وضع الزهور فوقه.
وهذه بدعة مفسقة.

ج) زيارة النساء للقبور، وتجمعهن هناك للبكاء والضحك
والغيبة وعرض الزينة، وحتى البيع والشراء.
وهذه بدعة مفسقة.

(٤) بعض البدع في المطاعم والمشرب والملابس:

أ) الأكل والشرب بالشمال.

ب) الاتكاء في الأكل.

ج) الإكثار من الطعام والشراب ومن وجباته.

د) أكل النساء والرجال في الشوارع.



المعلم الثالث عشر خطوط الإسلام

أهل السنة والجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان وسار على دربهم، والتزم بأصولهم العلمية والعملية، فلا يأخذون دينهم علماً وعملاً إلا من كتاب الله، وسنة نبيهم ﷺ، في إطار من فقه صحابة رسول الله ﷺ، لا يقدمون على ذلك أو يعارضونه بعقل أو رأي أو قياس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ﴿مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً وأحمد والشافعي، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك

كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة ﴿﴾.

عقيدة أهل السنة والجماعة:

- لا معصوم إلا رسول الله ﴿ﷺ﴾، فالأئمة عندهم ليسوا معصومين، بل كلُّ يؤخذ من كلامه ويترك، إلا رسول الله ﴿ﷺ﴾.
- إجماع السلف الصالح حجة شرعية ملزمة لمن بعدهم.
- لا يعارضون القرآن والسنة بعقل أو رأي أو قياس.
- الجماعة مناط النجاة في الدنيا والآخرة.
- يجمعون الدين علماً وعملاً، وظاهراً وباطناً.
- أهل السنة هم أهل التوسط والاعتدال بين الغلو والجفاء.
- أهل السنة لا يأخذون إلا ما كان ثابتاً عن الرسول ﴿ﷺ﴾ والسلف الصالح.
- هم أعلم الناس بأحوال الرسول ﴿ﷺ﴾ وأقواله وأفعاله.
- هم أهل لا يخرج الحق عن جماعتهم، لأن جماعة أئمتهم وعلمائهم تقوم مقام النبوة في حفظ هذا الحديث.
- هم أهل الطائفة المنصورة التي أخبر عنها الرسول ﴿ﷺ﴾: ﴿لا تزال طائفة من أمتي...﴾.

- يأتمون في أخلاقهم وسلوكهم بالكتاب والسنة.
- هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- يحافظون على الجماعة، ويلتزمون الطاعة في المعروف، ويحملون أمانة العلم.
- يعملون على تأليف القلوب واجتماع الكلمة.
- إثبات صفات الله بلا تكييف، وتنزيهه بلا تعطيل.
- القرآن كلام الله غير مخلوق.
- الله عز وجل لا يراه أحد في الحياة الدنيا، وإثبات رؤية المؤمنين لربهم بلا حجاب في الجنة، ويؤمنون بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت.
- يؤمنون بالقدر بجميع درجاته.
- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.
- الإيمان أصل وفروع، ولا يزول إلا بزوال أصله، ولذلك فلا يكفرون أحداً من أهل القبلة بمطلق المعاصي إلا أن يزول أصل الإيمان.
- يحبون ويتولون صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته وأزواجه.
- يصدقون بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات.

صفات الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة:

- تضارب آرائهم والتفرق والمعاداة: فالفرق المخالفة لأهل السنة يدفعهم الجهل والهوى إلى كثرة الآراء وتضاربها واختلافها من جهة، وإلى التفرق والشقاق والمعاداة من جهة أخرى.
- الغلو في الدين.
- الجهل بالحق والنفاق: فالمخالفون للسنة فيهم قوم جهال بالدين، ومنهم قوم منافقون، وفيهم سماعون للمنافقين يقبلون منهم، وكل هذه الأصناف قد يكون فتنة للصنف الآخر.
- التعصب مع البغي على المخالف: فالمخالفون لأهل السنة مغالون في التعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل، ومغالون في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد، مع البغي والعدوان على المخالف لهم.
- تكفير وتفسيق مخالفهم في الاجتهاد والتأويل: فهم لا يتحملون الاجتهاد أو التأويل المخالف، بل ويضيفون إلى ترك السنة اعتقادات باطلة في المخالف لهم، من تفسيق وتكفير وتخليد، ثم يرتبون على ذلك أحكاماً ابتدعوها في حق المخالف، من استحلال الدماء والأموال وغير ذلك.



المعلم الرابع عشر نعمة الزمن

عرض القرآن الكريم والسنة المطهرة للزمن قيمة وأهمية وأوجه انتفاع وأثر، وأنه من عظيم نعم الله التي أنعم بها سبحانه، يقول سبحانه وتعالى في بيان هذه النعمة العظيمة التي هي من أصول النعم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(١).

ويقول عزّ من قائل: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا

١. سورة النحل، الآية (١٢) .

عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١﴾،
 ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَدَّكُرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا﴾ (٢)، وليبان مزيد من أهمية الزمن وأثره نجد أن المولى
 سبحانه يقسم بأجزاء منه في مطلع سور عديدة: فيقسم بالفجر
 ﴿والفجر وليال عشر﴾، ويقسم بالليل والنهار ﴿والليل إذا
 يغشى والنهار إذا تجلَّى﴾، ويقسم بالضحى ﴿والضحى والليل
 إذا سجى﴾، وقسمه سبحانه بأجزاء الزمن تلك كان لفتاً للأنظار
 نحوها لعظيم دلالتها عليه، ولجليل ما اشتملت عليه من منافع
 وأثار، بل إنه سبحانه أقسم بالزمن نفسه، وذلك في قوله
 تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾، والعصر
 هو الدهر، أي الزمن، على قول أكثر المفسرين، وهو الراجح، كما
 يقول الإمام ابن القيم، مضيفاً أن العصر من مسميات الدهر.
 وبه قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وزيد بن أسلم،
 والفراء، وابن قتيبة، وهو اختيار الإمام الطبري.

يقول ابن القيم في بيان الحكمة من القسم بالعصر: أقسم سبحانه

١. سورة الإسراء، الآية (١٢) .

٢. سورة الفرقان، الآية (٦٢) .

٣. سورة العصر.

بالعصر للمكان والعبرة والآية فيه، فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدره العظيم العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام. ويذكر الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - وصف عظمة العصر الذي هو الزمن فيقول: إن الدهر مشتمل على الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، فلو ضيعت ألف سنة ثم تبت في اللمحة الأخيرة من العمر، بقيت في الجنة أبد الأبدين، فعلمت حينئذ أن أشرف الأشياء في حياتك هذه اللمحة، فكان الدهر والزمن من جملة أصول النعم، إنها أعظم نعمة أنعمها الله على ابن آدم ليقرر فيها مصيره ونهايته: إما إلى السعادة أو الشقاء، إما إلى الجنة أو النار. إن الزمان أغلى وأشرف من المكان، فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسماً بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته، إنه تعالى ذكر لك العصر الذي بمضيه ينقص عمرك، فإذا لم يكن في مقابلته كسب، صار ذلك النقصان عين الخسران.

أما ما جاء في السنة المطهرة في بيان نعمة الزمن وقيمته، ومسؤولية الإنسان أمام خالقه عنه، فكان تأكيداً لما ورد في القرآن الكريم وتفصيلاً له، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال،

عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه ﴿^(١)﴾ .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ﴾ ^(٢) ، وأشار ﷺ بقوله : ﴿ كثير من الناس ﴾ أي أن الذي يوفق لذلك قليل ، فالموفق العاقل من عرف كيف يستفيد من فراغه وصحته في الموضع الذي يحقق له ولل بشرية جمعاء السعادة في الدارين ، فمن يكون كذلك هو المغبوط ، وإلا فهو المغبون الخاسر ، فالصحة يعقبها السقم ، والفراغ يعقبه الشغل ، فهما رأس مال الإنسان ، فإما أن يحسن استثماره فيربح مع سلامة رأس المال ، وإما أن يسيء استعماله فيخسر مع ضياع رأس المال ، وبالتالي ضياعه هو وخسرانه ، ولذلك يقول المصطفى ﷺ : ﴿ اغتتم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ﴾ ^(٣) .

كل مفقود عسى أن نسترجعه إلا الوقت ، فهو إن ضاع لا

١ . رواه الطبراني في الكبير ، والبزار في مسنده ، وهو صحيح بشواهد ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي برزة .

٢ . رواه البخاري .

٣ . رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس ، وصححه ووافقه الذهبي .

يتعلق بعودته أمل، ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه الإنسان في هذه الحياة الدنيا القصيرة، وكان على العامل أن يستقبل أيامه استقبال الحريص للثروة الرائعة، لا يفرط في قليلها وكثيرها، ويجتهد أن يضع كل شيء - مهما ضؤل - موضعه اللائق به. عندما يحس أحدنا أنه موجود، ويلقي نظره وراءه، ويتبين اللحظة التي بدأ بها المسير في هذه الدنيا، ليحصي ما مر به من أيام وأعوام، لن يطول به الفكر لأنه لن يرى إلا بداية غامضة، ثم تتجمع السنون الطوال والليالي العراض فإذا هي وكأنها يوم واحد مائع الطول والعرض، متلاحق الأحداث.

إن هذا ما يستشعره الإنسان الآن وما قد يستشعره يوم القيامة عندما يوقف للحساب: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾^(١)، ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۗ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾^(٢)، ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾^(٣).

إن هذا الإحساس - على ما به - إحساس صادق إذا قيست أيام الدنيا بأيام الآخرة، ولكنه مخدوع مضل لمن مرت به

١. سورة يونس، الآية (٤٥).

٢. سورة طه، الآية (١٠٣)، والآية (١٠٤).

٣. سورة النازعات، الآية (٤٦).

الأصباح والأمسية، وكرت عليه الشهور والدهور، وغدا وراح،
وتعب واستراح، وهو مع ذلك في غفلة عن يومه وغده، ظل يعبث
ويسترسل في عبثه، حتى إذا استرخت أجفانه على عينه، ودخل
ظلام الموت، تيقظ بعنف، وهيئات! لقد صحا بعد فوات الأوان.
إن شأن الناس في الدنيا غريب، يلهون والقدر معهم جاد،
وينسون وكل ذرة من أعمالهم محسوبة، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١).

الإنسان يسير حثيثاً إلى الله، وكل دورة للفلك تتمخض عن
صباح جديد ليست إلا مرحلة من مراحل الطريق الذي لا
توقف فيه أبداً، أليس من العقل أن يدرك المرء هذه الحقيقة، وأن
يجعلها نصب عينيه، وهو يستبين ما وراءه وما أمامه من الخدع،
أن يحسب المرء نفسه واقفاً والزمن يسير، إنه خداع النظر حين
يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري وهو جالس، والواقع أن
الزمن يسير بالإنسان نفسه إلى مصيره المعتد.

يقول ابن القيم، رحمه الله، في كتابه «الجواب الكافي»: ﴿وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في
النعيم المقيم، ومادة معيشة الضنك في المعاش الأليم هي الوقت

١. المجادلة، الآية (٦).

وهو يمرّ مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وإن عاش فيه فهي عيشة البهائم، بل هو أضل، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة وكان خيراً ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خيراً له من حياته ❀.

الإسلام دين يعرف قيمة الوقت، ويقدر خطورة الزمن، ويؤكد الحكمة الغالية: ❀ الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك ❀، ويجعل من دلائل الإيمان وأمارات التقى أن يعي الإنسان هذه الحقيقة، ويسير على هداها، ❀ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ❀^(١)، ويعتبر الغافلون عن غدهم، الغارقين في حاضرهم، المسحورين ببريق الدار العاجلة قوماً خاسرين سفهاء: ❀ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرِجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ❀^(٢) أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ❀^(٢).

وقد وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام، فالصلوات الخمس تكتنف اليوم كله، وأوقاتها موزعة مع سيره.

١. سورة يونس، الآية (٦).

٢. سورة يونس، الآية (٧)، والآية (٨).

والمقرر في الشريعة أن جبريل ينزل من عند الله ليرسم أوائل الأوقات وأواخرها، ليكون للمسلم نظام محكم دقيق، يرتب الحياة ويقيسها بالدقائق من مطلع الفجر إلى مغيب الشفق، ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

لكن الزمن الذي ينغص الحياة، ويطوي الأجال، ويفني الحضارات، ويقف الناس مشدوهين إزاء عجائبه، هذا الزمن نفسه هو فرصة الإيقاظ للأذكىاء لفعل الخير وإسداء المعروف، وادخار ما يجدي، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٢١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

فالليل يخلف النهار، والنهار يخلفه، مع حركات الأفلاك الدائرة السائرة، ورب العالمين لم يخلق ذلك عبثاً، وقبيح بالناس أن يظنوا محياهم في هذا الوجود الرتيب سدى، إنه الميدان الذي أعد للسباق الطويل.

والسباق الذي لا يتقدم فيه إلا من يعرف ربه، ويذكر حقه،

١. سورة الروم، الآية (١٧)، والآية (١٨).

٢. سورة الفرقان، الآية (٦٠)، والآية (٦١).

ويشكر نعمه، ومن يجعل تواصل السنين تواصل دأب ونصب
لإحراز الراحة الكبرى في جنات عدن.

أما الذاهلون عن هذه المعاني، الهائمون وراء منافعهم المعجلة،
فهم حمقى، لا يتصفون بالحكمة ولا يستفيدون من درس،
﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
يَذَكَّرُونَ﴾^(١).

إن عمرك هو رأس مالك الضخم، وسوف تسأل عن إنفاقك
وتصرفك فيه يوم الحساب:

دقات قلب المرء قائمة له

إن الحياة دقائق وثوان

﴿الزمن لا يقف محايداً، فهو إما صديق ودود، أو عدو
لدود﴾، ﴿ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قبل الحق:
يا ابن آدم! أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل
صالح، فإني لا أعود إلى يوم القيامة﴾.

هذه الحكم تنبع من روح الإسلام، ومن تفقه تعاليمه العظيمة
في الإفادة من الحياة الأولى للحياة الكبرى، وإنه لمن فضل
الله ودلائل توفيقه أن يلهم الرجل استغلال كل لحظة من

١. سورة التوبة، الآية (١٢٦).

عمره في العمل، والاستجمام من جهد استعداداً لجهد آخر،
﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ومن المؤسف أن العوام لا يباليون بإضاعة أوقاتهم سدى،
ويضمون إلى هذه الجريمة السطو على أوقات غيرهم لإراقتها على
التراب، وإنهم يقتحمون على رجال الأعمال خلواتهم الجادة
ليشغلوهم بالشؤون التافهة، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول:
﴿ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ﴾ (٢).

ومن استغلال الإسلام للوقت بأفضل الوسائل حثه على
مداومة العمل وإن كان قليلاً، وكرهيته للكثير المنقطع، وذلك أن
استدامة العمل القليل - مع استدامة الزمن وسيره الوصول -
يجعل من التافه الضئيل زنة الجبال من حيث لا يشعر المرء، وفي
الحديث: ﴿ يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ؛ فإن الله
لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله مادام وإن قل ﴾ (٣)،
وفي رواية: ﴿ سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة،
والقصدَ القصدَ تبلغوا ﴾ (٤).

١. سورة القصص، الآية (٧٣).

٢. رواه البخاري ومسلم.

٣. رواه البخاري.

٤. رواه مسلم.

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثّه على التبكير، ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائره سدى.

نظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس، ويكره السهر الذي يؤخر صلاة الصبح عن وقتها المسنون، وفي الحديث الصحيح: ﴿اللهم بارك لأمتي في بكورها﴾.

وإنه لمن الغفلة والحرمان أن يألف أقوام النوم حتى الضحى، فتطلع عليهم الشمس وهم يغطون، على حين تطلع على غيرهم وهم منهمكون في وسائل معيشتهم ومصالح معادهم. كما أن الزمن يستغرق التكاليف التي نيطت بأعناق العباد، فهو يستوعب الأقدار التي يرسلها الله على الناس من خير وشر، وهي أقدار تغيض بالعظمت الحقة والدروس القيمة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارِإِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١).

والناس ينظرون إلى الأحداث ويذهلون عن مرسلها، ويذوقون

١. سورة النور، الآية (٤٤).

السراء والضراء ويجهلون من يذيقهم طعومها، فإذا ضاقوا ذرعاً
بأمرٍ ما لعنوا الأيام، وهذا ضربٌ من الجهل بالله، والغفلة عن أقداره
في عباده، قال ﴿ﷻ﴾: ﴿قال الله سبحانه وتعالى: يؤذيني ابن آدم
يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار﴾^(١)،
يعني أن الزمن لا يصنع بالناس خيراً ولا شراً مما يفرح الناس به،
أو يحزنون له، وإنما يسوق ذلك رب الزمان والمكان، ﴿كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم: السنّة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها،
والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة
فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما
يكون الجداد يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها.
والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال،
وثمرها طيب في الحياة الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن
ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في
الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها
في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها

١. رواه البخاري .

٢. سورة الأنبياء، الآية (٣٥) .

في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم، من الاتعاض بالزمن دراسة التاريخ العام، وتتبع آيات الله في الآفاق وتدبر أحوال الأمم، كيف تقوم وكيف تنهار؟ وكيف تتقلب بين ازدهار وانحدار؟ والله عز وجل يطلب من الناس أن يلتفتوا إلى هذه الأدوار المتعاقبة، وأن يكون لهم وعي حصيف يوجههم إلى الانتفاع بها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

قال الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالي

وكان ذهابهن له ذابا

إنا لنفرح بالأيام نقطعها

وكل يوم مضى جزء من العمر

فالرجل بين حالتين: إما أن تكون له تجارب خاصة يستغلها

في تصحيح أفكاره وتدعيم إيمانه، وإما أن يكون لا علم له،

فليستمع من غيره، وليستفد من معارف الآخرين وتجاربهم؛ أما

فتح الأعين على الدنيا المائجة بالأحداث الهائلة دون تفكير أو فقه

أو اعتبار هو العمى والظلام، وهذا لا يليق بمؤمن.

١. سورة الحج، الآية (٤٦).

إن العمر قصير، والحاضر الذي يحيا الإنسان في نطاقه ضيق،
والعقل لا يستمد كيانه وتألفه ونفاده من وراء الانكماش والتصور،
بل لا بد أن يتعدى مكانه إلى رحاب الملكوت الواسعة، وزمانه إلى
عصور الحياة المتطاولة، ومن التطواف الممحص هنا وهناك يكون
ثروة طائلة من الأفكار والقصص والآراء والوقائع، تزيد خبرته
بالعلم وتزيد معرفته برب العالمين، والإسلام يبني الإيمان الراسخ
على هذه الدعائم المكيّنة من التروي والتأمل والبحث والتنقيب.
من أجل ذلك ندب أبناءه للرحلات الطويلة والسياحات
الواسعة، وحبب إليهم الضرب في مشارق الأرض ومغاربها، لا
لهو واللعب، ولكن للعلم والإفادة، ولا للتسلية وتزجية الفراغ،
بل للبحث والدرس واستقصاء العبر عن الأحياء والهامدين،
﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿^(١)،
﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا
كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾^(٢)، وكيف يدعو القرآن الكريم إلى دراسة

١. سورة آل عمران، الآية (١٣٧)، والآية (١٣٨).

٢. سورة غافر، الآية (٢١).

الحضارات البائدة وعلل فنائها ؛ حتى يتجنب الناس مواطن
الزلل التي قصفت بالأولين، وكم تكشف مطالعة التواريخ من
غرائب، إن الزمن أية تعجز العقول عن إدراكها، وما تعرف إلا
بما يخلفه في المادة من آثار، ولعل سر الخلود والفناء مطوي فيه لا
يعرفه إلا المحيط بظواهره وخوافيه، ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (٨٠) .

والذي يجب أن نعقله أن حياتنا هذه ليست سدى، وأن الله
أجلّ من أن يجعلها كذلك، وإذا انتفعنا بمرور الزمن على خير
وجه سجلنا لأنفسنا خلوداً لا يناوشه الزمن بهرم، ولا يبلى، عند
الرفيق الأعلى.

١. سورة المؤمنون، الآية (٧٩)، والآية (٨٠) .



المعلم الخامس عشر المثالية الحقيقية

إن أمة انتشلت نفسها من الجاهلية إلى المجد والإيمان والإسلام
لأمة تستحق الذكر والإعلاء، لقد طهّرت البشرية من الشيطان
والطغيان والأوثان، واستطاعت في أيام معدودات أن تطوي ألوية
ظلت مشرعة للأبالسة أزماناً متطاولة، وتذك عروش الاستعباد
والقهر والفساد، لقد كان معها عون من الله ومدد من الحق
سبحانه، ولا عجب؛ فقد جعل الله علمها من وحيه، فقال تعالى:
﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴾^(١)، وجعل قوتها من مدده: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ

١. سورة آل عمران، الآية (٧٩) .

لَكُمْ ﴿^(١)﴾، ودينياه في معينه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿^(٢)﴾، وجعلها قدره الذي يهزم الباطل: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿^(٣)﴾، وجعلها أنصاره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ ﴿^(٤)﴾، وأصلح بالها وكفر سيئاتها: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿^(٥)﴾ وحقق فلاحها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿^(٦)﴾، وأكد نصرها: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾ ﴿^(٧)﴾، ووثق رجولتها: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ﴿^(٨)﴾، وأعلن طهرها: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ ﴿^(٩)﴾، وربطها بالأخوة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ﴿^(١٠)﴾، وأعلاها بالإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ﴿^(١١)﴾.

١. سورة آل عمران، الآية (١٦٠) .
٢. سورة النحل، الآية (١٢٨) .
٣. سورة سبأ، الآية (٤٩) .
٤. سورة الصف، الآية (١٤) .
٥. سورة محمد، الآية (٢) .
٦. سورة المؤمنون، الآية (١) .
٧. سورة الصافات، الآية (١٧٣) .
٨. سورة الأحزاب، الآية (٢٣) .
٩. سورة التوبة، الآية (١٠٨) .
١٠. سورة الحجرات، الآية (١٠) .
١١. سورة الحشر، الآية (٩) .

وأثنى عليهم بالأنفة: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾^(١)، وأشاد بهم في الحق: ﴿ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾^(٢)، وثبتهم بملائكته: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾^(٣)، وتولى الله أمرهم: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٤).

وأمة هذه شانها لأهل أن يكون خطرها عظيم، وفضلها عميم، ودستورها قوم، لها من القوة رصيد لا يقهر، ومدد لا ينفد، ولها من العطاء مدد لا ينضب، وخزائن لا تفرغ، ولا بد أنها أخرجت لغاية وأرسلت لهدف.

وقد أبان ذلك القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٥).

إن مهمة الإصلاح أنيطت بها وجُعِلت على عاتقها، وهي وإن

١. سورة الشورى، الآية (٣٩).

٢. سورة النساء، الآية (١٣٥).

٣. سورة الأنفال، الآية (١٢).

٤. سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

٥. سورة آل عمران، الآية (١١٠).

كانت ثقيلة تندك منها الرواسي، ولكنها قامت بها وحملتها ودعت إليها، ونصرتها وانتصرت بها، ووعتها وبلغتها، وضحت في سبيلها، وجاهدت من أجلها، واستشهدت على دربها، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا ﴾^(١)، ومصداقاً لقوله: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾^(٢).

هي أمة المبادئ التي تحمل مبادئها، وتفنى في سبيلها، أمة تعلي هدفها وتسود به، وتبني عزتها وتشيد مجدها بسواعدها، ولا تستجدي نصراً أو تستعطف قلباً أو تستدر رحمة، بل لا بد أن ينهار تحت معاولها كل صرح، ويندك تحت أقدامها كل بناء، لأنها صولة الحق، وقدرة الله وإرادته ومدده.

١. سورة التوبة، الآية (١١١) .

٢. سورة الأحزاب، الآية (٢٣) .



المعلم السادس عشر الترقية النفسية

من صحّت عقيدته استقامت أخلاقه، ومن استقامت أخلاقه كرمت أفعاله، ومن خلصت له الثلاثة قويت أحواله كلها، فمن آمن بالله تعالى، ونفى عنه الشريك، ووصفه بصفات الجمال والكمال، ونزهه عن جميع النقائص، وأمن بكتبه ورسله وملائكته، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره، حسنت حالته وعظمت سعادته وتحققت في الدنيا والآخرة رغبته، ولولا هذا الإيمان ما كان نظام العالم، ولا عرف معنى الواجب، ولا اتضح معالمه.

الإيمان يدعو صاحبه إلى الاتصاف بالصفات القويمة والأخلاق العظيمة والأفعال الكريمة، إذ يحثّ على ترقية النفس بالعلم والجد، والسعي والمثابرة، وقوة العزيمة واحترام النفس والثقة بها، مع التوكل على الله والشجاعة والاعتدال، والصدق في القول والإخلاص في العمل، والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والإلتحاد على الخير والتعاون على البر والتقوى، والعمل للدنيا والآخرة معاً في غير غلو، وحسن المعاملة والأمانة، والوفاء بالعهد، والحلم والعدل، والتواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفو عند المقدرة، والصبر على الطاعات والمكاره وعن المعاصي، والمحبة والمواساة والرفق.

من يحاول أن يبني ملكاً على الأباطيل والترهات، أو الأهواء والشهوات، فكمن يحاول أن يجعل للحيوانات دولة، وما عهدنا الحيوانات إلا محكومة مسخرة لسعادة غيرها، وليس لها حياة أدبية، تلك الحياة التي كرم الله بها الإنسان وفضّله على سائر مخلوقاته.

الإيمان يدعو إلى محاسن الأخلاق ويبعد عن مساوئها، والخلق الحسن من أعظم نعم الله، يحمل على كل خير ويكفّ عن كل شر، وقد روى الإمام أحمد في مسنده والنسائي وابن

ماجة والحاكم عن أسامة بن شريك رضي الله عنه أن رسول الله
 ﷺ قال: ﴿خير ما أعطي الناس خلق حسن﴾، والأمة إذا
 كانت على ما سبق عقيدة وخلقاً وعملاً استطاعت أن تزيد ثروتها
 وتنمي مواردها، وتتصرف في المادة تصرفاً حسناً يمنحها قوة عظيمة
 وحياة سعيدة، ويقول الرسول الكريم ﷺ: ﴿إنما بعثت لأتمم
 مكارم الأخلاق﴾، إن الذين يتخلقون بهذه الأخلاق المحمدية،
 ويسلكون مسالك الخير جديرون بأن تسلم لهم السيادة والراية،
 لا جرم أن هذا يرقى شأنها، ويعلي مكانها ويضاعف قوتها،
 ويؤهلها لأن تكون قائدة لغيرها، وقدوة صالحة لسواها، كما هو
 الحال في جزيرة العرب بين الأمس واليوم، وعلى خلاف هذه
 الأمة التي استسلمت لشهواتها، وخضعت لأهوائها، وهجرت
 الفضائل، وهوت في هوة الرذائل، فإنها تفقد المادة والأخلاق
 الفاضلة معاً، فتكون طعمة لغيرها، يسخرها في رغائبه كما تُسخر
 الأنعام، وكان سوء خلقها شؤماً على غيرها، والسر في ذلك
 أن الأمة إذا جرت وراء الماديات، واسترسلت في الشهوات،
 وتعلقت بالباطل، وأنفقت جهدها على حطام الدنيا، حلّ بها
 التحاسد والتباغض، وتناقضت الأغراض، وتخاذلت الأفراد،
 فتنحل عرى اتحادها، وتذهب ريحها، وتفرق كلمتها، فيسهل

على غيرها امتلاك أمرها. والأمة إذا ملك غيرها أمرها، وسارت أفرادها بالاستعباد عالة عليه وآلة له، قصر أملها وقلّ إنتاجها، ووقفت وجوه الإصلاح فيها، وعجزت عن المدافعة عن نفسها، بما خضد القلب من شوكتها، فأصبحت مغلبة لكل متغلب، طعمة لكل آكل.

وقد حلّ ذلك بكثير من البلاد الإسلامية والشرقية، وتحقق فيهم قول الرسول ﷺ، الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه: ﴿يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزِع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا، وكرهيتكم الموت﴾. أما إذا أقبلت الأمة على الحق، ونبذت الباطل وابتعدت عن الدنيا وسارعت إلى عظيم الخلال وكريم الفعال، واتجهت في كل ذلك إلى الله، ولم ترع في أي عمل إلا إياه، إذا كانت هكذا، اتحدت وجهتها، وتعلقت قلوبها بغاية واحدة، وذهب من بينها التحاسد والتباغض، وقلّ الخلاف، وحسنت المعاونة والمعاوضة.



المعلم السابع عشر أول منازل السالكين

قال رجال السلوك: التوبة أول منزلة من منازل السالكين،
وأول مقام من مقامات الطالبين.

وهي في اللغة: الرجوع، يقال: تاب، إذا رجع، فالتوبة الرجوع
عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو ممدوح فيه، وأجمع العلماء
على أن التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت معصية بين العبد
وبين الله تعالى فلا تتعلق بحق آدمي فلها شروط ثلاثة:

إحداها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها.

الثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

فإن كانت معصية تتعلق بأدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة المتقدمة، بالإضافة إليها أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان غيبة استحله منها، وإن كان حد قذف أو نحوه مكّنه من القصاص أو طلب عفوّه.

ويقول الجنيد بن محمد البغدادي: التوبة على ثلاثة معان: أولها الندم، والثاني يعزم على ترك المعادة، والثالث يسعى في أداء المظالم.

قال أبو القاسم القشيري: التوبة صفة المؤمن، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

والإنابة صفة الأولياء والمرسلين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾^(٢)، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣).

وقال ذو النون المصري: توبة العامة من الذنوب، وتوبة الخاصة من الغفلة عن ذكر الله. وعلى هذا أيضاً يفسر قوله ﴿ تَوَّابٌ ﴾: ﴿ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ﴾، وقال الجنيد البغدادي: التوبة

١. سورة النور، الآية (٣١).

٢. سورة ق، الآية (٣٣).

٣. سورة ص، الآية (٣٠).

أن تقبل على الله بالكلية كما أعرضت عنه بالكلية . ويؤيده قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(١) .

وقال سهل بن عبد الله : هي الندم والإقلاع والتحول عن الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة ، وهو يعني حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ : ﴿الندم توبة﴾^(٢) .

والله تعالى يسعف العبد بالعون والتوفيق إلى التوبة التي تحركت نفسه إلى تحقيقها وتشوقت إليها ، وضاقت بما هي عليه من ذنب ، وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(٣) .

والتوبة النصوح لا يبقى على صاحبها أثر من المعصية ، لا سرا ولا جهراً ، ويقول ابن عطاء : من كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى وأصبح . يعني لا يبالي ما كان منه قبل التوبة ، فقد محاه الله من صحيفة عمله .

ويجب أن تعم التوبة كل الجوارح ، وقد أوضح ذو النون المصري ذلك في قوله : ﴿على كل جارحة لابن آدم توبة﴾ ،

١ . سورة مريم ، الآية (٦٠) .

٢ . رواه أحمد .

٣ . سورة التوبة ، الآية (١١٨) .

فتوبة القلب أن ينوي ترك المحظورات، وتوبة العينين الغض عن المحارم، وتوبة اليدين ترك تناول ما لا يحل، وتوبة الرجلين ترك السعي في الملاهي، وتوبة السمع ترك الإصغاء إلى الباطل، وتوبة الفرج القعود عن الفواحش. وقال عن التوبة النصوح إنها إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب، والخوف من الرجوع إليها، وترك قرناء السوء، وملازمة أهل الخير.



المعلم الثامن عشر غاية الحياة

المحبة هي الجوهرة الثمينة، والدرة الكريمة، والمنة العظيمة، يمن الله بها على من يشاء من عباده، والمحبة هي نور يبدد ظلام الوحشة في هذه الحياة، والمحبة هي العروة الوثقى، والرباط الوثيق بين المؤمنين ورب العالمين، وهي الصلة الربانية بين قلوب عباده المؤمنين الذين تعارفت أرواحهم في عالم الأرواح الأزلي حين قبض الله من صلب آدم ذريته، وقال سبحانه وتعالى: هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي، وإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، كما ورد في الحديث (١).

١. أخرجه البخاري من حديث عائشة، ومسلم من حديث أبي هريرة .

وقال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وهذه
المحبة لا تدرك بالأمانى ولا باجتهداد، ولا تنال بملء الأرض ذهباً،
بل هي هبة كريمة يهبها سبحانه لمن يشاء من عباده المؤمنين.

ومن علامات التوفيق والقبول ومن أسمى الغايات وأنبى
الأغراض التي يستهدفها المؤمن في حياته: الظفر بمحبة الله،
وتحصيل بره ورضاه، ومحبة رسوله والتمسك بسنته، ودراسة
سيرته عليه من ربه أزكى الصلاة والتسليم. والطريق إلى محبة
الله معروف وبيّن، وهو منهج مرسوم وطريق معلوم، وفي طليعة
هذا المنهج متابعة رسول الله ﷺ وحسن الاقتداء به، والأنس
بأقواله وأفعاله، والتخلق بأخلاقه وأدابه، فذلك أهدى السبل
وأقرب الطرق، وآية كمال الإيمان وصدق اليقين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢).

ومن علامات صدقها أن يكون الله ورسوله أحب إلى قلب
المؤمن من نفسه وعياله وماله، وأن يكون هذا الحب خالصاً لوجه

١. سورة الأنفال، الآية (٦٣).

٢. سورة آل عمران، الآية (٣١).

الله تعالى اعترافاً بربوبيته، ويكون حبه لرسول الله ﷺ اعترافاً برسالته، وتقديراً لجهاده، وإتباعاً لسنة.

محبة الله:

إنَّ محبة الله تأخذ بيدك إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، فتعرفك أولاً بمراد القرآن الكريم، وتدفعك لأن تتمسك بالشرعية السمحة، وتحب نبيّه الذي لولاه ما عرفت ربك ولا تعلمت شريعة، وإذا عرفت حقيقة هذا النبي القائد البار الرحيم قدرت مقامه، فطيب لك أن تصلي وتسلم عليه دائماً.

ومن مظاهر حب الله وعلاماته، حب رسوله ﷺ، لأنه حامل الوحي ومبلغ الرسالة، وقائد الخلق والهادي إلى طريق الرشاد، والموصل إلى إدراك السعادتين ثواب الدنيا والآخرة، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين﴾^(١)، وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله﴾. وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

١. رواه البخاري .

﴿ من أحب لله وأبغض لله، وأعطى الله ومنع الله، لقد استكمل الإيمان ﴾^(١).

كما أن حب الأبرار والأولياء والصالحين يوصل المرء إلى أسمى المراتب وأشرف المناصب، والمرء يحشر مع من أحب، وعن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ «متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت؟»، قال أنس: ما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول الرسول الكريم ﷺ: «أنت مع من أحببت؟»، ثم قال: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم^(٢).

وحتى تكون المحبة بين المتحابين في الله شعاراً مقدساً يعتز به المؤمن، ويفتخر بهذه الرابطة الربانية، ووسام شرف إلهي على صدر المؤمنين المتحابين يراه كل مؤمن ينظر بنور الله، وهذه الخصوصية لم تكن لأحد إلا للذين آمنوا ثم استقاموا، وتعتبر المحبة في الله عند جميع العلماء هي منازل ودرجات المؤمنين عند الله، وتكون هذه المنازل متفاوتة، ودرجاتها مختلفة، ومن

١. رواه أبو داود .

٢. متفق عليه .

أسمى المنازل وأرقاها وأعظمها، منزلة المؤمن الذي يحب كل شيء خالصاً لله، ويكره في الله، كما أن الشريعة تقرر أن المحبة واجبة، ولهذا أصبح إعلانها واجباً، فليعلن المحب حبه ليستقر في الأذهان، ويتعلمه الخاص والعام، ويستجيب له الناس كافة، لتعم هذه الرابطة الشريفة بين الناس، وبذلك تعم السعادة بين المؤمنين، وبذلك يسعد المجتمع كله ببركة هذه المحبة، بل هي للإنسانية رباط يحبه الله أن يسود بين عباده.

أما الأخوة في الله بين المؤمنين، فهي أعلى مراتب المحبة وأشرفها ؛ لأنها خالصة، وكان لها عند الله مكانة عظيمة ودرجة عالية لم يدركها أحد سواهم، وهما هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يروي لنا حديثاً عن رسول الله ﷺ، قال : ﴿ إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ﴾، فقال الصحابة رضي الله عنهم : ﴿ يا رسول الله ! تخبرنا من هم ؟ ﴾، فقال ﷺ : ﴿ هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ﴾^(١).

١. رواه أبو داود .

ثم تلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٢﴾ لَّهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾^(١).

١. سورة يونس، الآيات (٦٢-٦٤).



المعلم التاسع عشر الحب الحقيقي

الحب نوعان:

حب عاطفي: وهو الحب العام الذي يربط بين قلوب أفراد الأسرة الواحدة، وحب من أحسن إليك.

وحب إيماني: وهو حب الله ورسوله ﷺ وحب الوالدين.
إن حبّ النبي ﷺ والإخلاص له وموالاته متوقف على حب الله، لأن المحبة الإلهية هي التي ربطت صلة العبد بربه،
وصلة النبي ﷺ بأمته، على بصيرة القلب وهتاف الروح
وصدق العزيمة، قولاً وعملاً، وحالاً ظاهراً وباطناً على حدّ سواء.

وإن هذا الحب يتجلى بقدسيته، ويرتفع فوق مستوى الجدل العقلي والبحث الكلامي الفارغ، والادعاء الكاذب المجرد من الانقياد الكامل والإخلاص الصادق، والطاعة المطلقة، والذي يدور حول بهرجة الألفاظ وسحر الأساليب المنمقة، وزخرف وبهرجة المظاهر المنحرفة، والتي وصلت إلينا عن طريق دراسات خاصة أو مذاهب منحرفة، فلا تكون حياً أصلاً، ولا تقييم معرفة سليمة، ولا تزكّي نفساً، ولا تبعث شوقاً، وإن القرآن الكريم هو كتاب الله ورسالة الناصح الأمين محمد رسول الله ﷺ، وقد تكفل هذا الكتاب بتربية المؤمنين العاملين بهديه على الذكر والتأمل، والتفكير في آياته وعجائب مخلوقاته وباهر قدرته، ومعجزة بيانه، وكلما تفهّم المسلم آية من هذه الآيات ورأى عجائب صنع الله، قدّس ربه وسبّحّه، وعظّمه وتبّتل إليه تبتيلاً.

فحب محمد ﷺ هو أحد هذه الآيات التي برزت آثارها وأشرفت أنوارها في هذا الكون كله، فغمرته نوراً وعدلاً ورحمةً، فلتجتمع الأمة على هذه المعاني السامية لتقوية الصلة بين هذا النبي المعجز وبين من آمن وأخلص له والتزم بالهدى والاهتداء وأمن واستقام. لقد عجزت هذه الأمة من تقدير هذا النبي العظيم حق قدره مهما قامت به من وسائل الشكر والتقدير، إلا

أن الله سبحانه وتعالى هو العالم بمقام رسوله ﷺ، وما يستحق من التكريم والثناء، كما يعلم بعجز هذه الأمة أن توفيه حقه بما يناسب جهاده وتبليغ رسالته التي أنقذت المؤمنين من الهلاك والضلال، فتحركت رحمة الله الواسعة لتغمر الأرض والسماء بنور الله، حيث أمر جبريل عليه السلام، أن يحمل هذا الشعار العظيم، وآية من كتاب الله البين، ليكون هذا الشعار الخالد وساماً ربانياً هدية من الله إلى حبيبه ومصطفاه تقديراً لقدره، وتعليماً له ولأمته وللناس أجمعين، وبدأه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بعالمي جنه وإنسه، فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

من قواعد الإيمان الأساسية أن تحب رسول الله ﷺ مطلقاً، والحق أن الرسول ﷺ جدير بهذا الحب، بل أحق به وأهل له، أليس هو الذي رفع الله ذكره وأعلى قدره، وقرن اسمه باسمه إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، كيف لا؟، أليس هو الذي حذر الله من مخالفة أمره إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ

١. سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

٢. سورة التوبة، الآية (٦٢).

كُدْعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ؟، أليس هو الذي قرن الله طاعته بطاعته، فقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿٢﴾ ؟ أليس هو الذي سيندم العصاة على مخالفته يوم تقلب وجوههم في النار، يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ؟ أليس هو الذي قرن الله محبته بإتباع هديه والتمسك بسنته، والسير وراءه بأمانة وإخلاص بلا زيادة ولا نقصان، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٤﴾ ؟.

وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ﴿٤﴾ ، ومعنى أولى هنا أي أحق وأقرب إليهم من أنفسهم، وأشد ولاية ونصرة لهم من أنفسهم، فإنه عليه الصلاة والسلام لا يأمرهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاتهم، بخلاف النفس، فإن الله

١ . سورة النور، الآية (٦٣) .

٢ . سورة النساء، الآية (٨٠) .

٣ . سورة آل عمران، الآية (٣١)، والآية (٣٢) .

٤ . سورة الأحزاب، الآية (٦) .

وصفها، وهو أعلم بها بأنها أمانة بالسوء وحالها وتصرفاتها ظاهرة.
إن النفس تجهل كل ما غاب عنها من الخير والشر، فيخفى
عليها ما ينفعها وما يضرها، وأطلقت الولاية للرسول ﷺ ليفيد
الكلام جميع الأمور، وأنه قال: ﴿ ما من مؤمن إلا وأنا أولى
الناس به في الدنيا والآخرة ﴾، وقال ﷺ: ﴿ اقرأوا إن شئتم:
﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ^(١).

فإذا علمت أيها الأخ المسلم بشفقة نبيك ﷺ، وحرصه
واهتمامه بمصيرك في الحياة الدنيا والآخرة بما ينفعك؛ فعندئذ
لن تستغرب لقوله ﷺ: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾ ^(٢).

١. متفق عليه .

٢. متفق عليه .



المعلم العشرون التراث التاريخي

الحياء أصل الأخلاق الكريمة، وأقوى باعث على فعل الخير واجتناب الشر، ولذا كان من تراث الأنبياء الذي لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، وقد تناوله الناس بينهم وتوارثوه عن الرسل قرناً بعد قرن، حتى وصل إلى هذه الأمة المسلمة.

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَدْرِكُ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾^(١).

١. رواه البخاري .

الحياء يمنع الإنسان عن فعل القبائح، فإذا لم يكن عند المرء حياء فليس هناك ما يردعه، وعندئذ يصنع ما يشاء بغير رقيب، وفي الحديث لفظة غير مباشرة على أن الحياء من الإيمان، إذ هو مما ورثه الناس من الأنبياء، ولفظة أخرى هي أن الحياء والإيمان قرينان، إذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر، ﴿إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾ ﴿بِلا خوف من حساب ولا رهب من عقاب، بمعنى أنه إذا ذهب الحياء ذهب الإيمان بالله تعالى، فلا التزام ولا طاعة - والعياذ بالله -، وهذا ما ورد عن رسول الله ﷺ: ﴿الحياء شعبة من الإيمان﴾^(١)، الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهما رفع الآخر.

قد يرد سؤال: هل الحياء فطري أم اكتسابي؟ والواقع أن الإنسان مفطور على الحياء، والتربية تزيد قوة، كأن الحياء بذرة في النفس يرويها الإيمان فيزيدها نماء وقوة، فإن لم يروها ذبلت وماتت، وقد يبقى منها بقية تنتظر الحياة، وهذه البذرة قد تكون في أصلها قوية، فيزيدها الإيمان قوة، وقد تكون خفيفة، فيرتفع بها الإيمان، لكنها لا تبلغ ما بلغت أختها.

ولذلك يتفاوت الناس في الحياء، فعثمان رضي الله عنه كان أشد حياءً من غيره، وقد عبّر الرسول ﷺ عن هذا فقال بأن

١. رواه البخاري ومسلم .

الملائكة تستحي منه ^(١)، كما ورد في وصفه ﴿سُبْحَانَكَ﴾: ﴿أَنَّهُ كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا﴾ ^(٢).

وحدث النبي ﴿ﷺ﴾ على الحياء من الله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا لنستحي من الله والحمد لله. قال: ليس ذلك، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء﴾ ^(٣).

والمراد بحفظ الرأس وما وعى: حفظ ما فيه من حواس وأعضاء كالسمع والبصر والكلام والعقل، فلا يستمع إلى فحش القول، ولا يتكلم بغيبة ولا غيبة، ولا ينظر إلى المحرمات، ولا يستعمل فكره في الإضرار بالناس لأنه سيسأل عن كل ذلك يوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ^(٤).

والمراد بحفظ البطن وما حوى: أن يحفظ جسده من أكل

١. رواه مسلم .

٢. رواه مسلم في كتاب الفضائل .

٣. رواه الترمذي .

٤. سورة الإسراء، الآية (٣٦) .

الحرام ويحفظ فرجه من الزنا، وأما ذكر الموت والبلى - أي الفناء - فهو نافع للمرء ؛ لأنه يرقق القلب، ويدفع الإنسان إلى المزيد من طاعة الله، لأن الدنيا متاعها قليل، بينما الآخرة هي دار البقاء والخلود إما إلى الجنة وإما إلى النار، وأما ترك زينة الدنيا: فالمراد به ترك زخرفها وبهرجها الخادع، وعدم التكالب عليها، لأن ذلك يؤدي إلى التحاسد والتباغض بين الناس، والإعراض عن ذكر الله المفضي إلى الخسران.

الحياء من الله يؤدي إلى سلامة القلب واللسان والسمع والنظر، وإيثار كل ما فيه الخير والحق، واجتناب كل ما فيه الشر والباطل.

وإننا نرى فتياتنا وفتياننا في هذا العصر فريسة الدعوة إلى ترك الحياء، وذلك من تأثير الصحف التي تنشر أخبار الفجور، وصور العاريات، والراقصات والممثلات، ومغامراتهن الفاضحة، كما أن الإذاعات لها أثرها في نبذ الحياء، وذلك بإذاعتها الأغاني ذات الطابع الإباحي في كلامها ولحنها وأدائها، وكذلك المشاهد المرئية التي تشتمل على صور من الخيانات الزوجية، ومشاهد من الإغراءات الجنسية المثيرة، وتظهر العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة في أسرة النوم، كل ذلك له تأثيراته الفعالة

على النفس، وخصوصاً على الفتيان والفتيات، فيأخذون منها دروساً في فقد الحياء، وجرأة في ارتكاب الفواحش، لذا كان من أوجب الواجبات حراسة فتياننا وفتياتنا من هذه المؤامرات المدمرة التي تهددهم بالفساد والميوعة والتحلل الخلقي، أضف إلى ذلك ما تطالعنا به دور الأزياء الأوربية من «الموضات» التي لا تراعي الحشمة، فتقبل على شرائها النساء والفتيات بداعي التقليد والمدنية، وهي ألبسة تدعو إلى نبذ الحياء؛ لما فيها من إظهار مفاتن الجسم على الغرباء في الشوارع.



المعلم الحادي والعشرون فن التعامل

رُوي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء، فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له على المنبر: يا معاوية! إنه ليس من كدك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك. فغضب معاوية، ونزل عن المنبر وقال: مكانكم، وغاب عن أعينهم زمناً، ثم خرج عليهم وقد اغتسل، فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليغتسل﴾^(١)، وإني

١. رواه أبو داود .

دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم ؛ إنه ليس من كدي ولا من كد أبي، فهلّموا إلى عطائكم.

وعن الأصمعي قال : دخل عطاء بن رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته، وحوله الأشراف من كل بطن، وذلك في مكة، في وقت حجّه وفي خلافته، فلما بصر به، قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد عبد الملك بين يديه، وقال له : يا أبا محمد، ما حاجتك، فقال : يا أمير المؤمنين ! اتق الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعهذه بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم. فقال له : أجل أفعل . ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال : يا أبا محمد ! إنما سألتنا حاجة غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت ؟ فقال : لا حاجة لي إلى مخلوق، ثم خرج، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وعن سفيان الثوري قال : دخلت على أبي جعفر المنصور بنى، فقال لي : ارفع إلينا حاجتك، فقلت له : اتق الله ! فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال : فطأ رأسه ثم رفعه، فقال :

ارفع إلينا حاجتك، قلت: إنما نزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناءهم يموتون جوعاً، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم، فطأ رأسه، ثم رفعه، فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: حج عمر ابن الخطاب، فقال للخازن: كم أنفقت، قال: بضعة عشر درهماً، وأرى هاهنا أموالاً لا تطيق الجبال حملها. ثم خرج.

ومن أروع الأمثلة التي تدل على الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما رواه أحمد من حديث أبي أمامة: أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: قربوه. فدنا حتى جلس بين يديه، فقال له النبي ﷺ: أتجبه لأمك؟ فقال: لا! جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتجبه لابنتك؟ قال: لا! جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتجبه لأختك؟ وزاد أن عرض حتى ذكر العمة والخالة، وهو يقول: لا! جعلني الله فداك، وهو ﷺ يقول: كذلك الناس لا يحبونه، فوضع رسول الله يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه، فلم يكن شيئاً أبغض إليه من الزنا.



المعلم الثاني والعشرون عماد الحياة

روى مسلم عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: ﴿الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾، وروى مسلم أيضاً عن جابر قال: ﴿بايعت النبي على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم﴾. قال الإمام النووي في شرح مسلم: هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام. وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، والحديث معناه كما قال النووي: إن عماد الدين وقوامه النصيحة، كما قيل: الحج عرفة.

والنصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد في أسمائه وصفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاته من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص له في جميع الأمور.

أما النصيحة لكتابه فبالإيمان أنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق التلاوة، وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه، وإعزازه عن تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف على أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكير في عجائبه، والعمل بحكمه، والتسليم لمتشابهه.

وأما النصيحة لرسوله، فتصديق رسالته والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعة أمره، واجتناب ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاته من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهم عنها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتطلق في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير

فهم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم ما داموا قائمين بأمر الله، حاكمين بدينه، يحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرمه.

أما نصيحة عامة المسلمين فإنرشادهم لمصالحهم في الدنيا والآخرة، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، وقضاء حوائجهم، وإبعاد المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب المرء لإخوانه ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.

ولو أدرك المسلمون ما يجب عليهم نحو إخوانهم، وأخضعوا أنفسهم لدين الله، وتركوا عادات الجاهلية وأخلاقها، وتخلصوا من الأنانية وحب الذات والاستئثار، لكان أمرهم غير ما هم عليه اليوم، ولكان ضعفهم قوة، وهزيمتهم نصراً.



المعلم الثالث والعشرون عامل البقاء

الصبر من خاصية الإنسان، فلا يتصور في البهائم لنقصانها وغلبة الشهوة عليها، كما لا يتصور الصبر في الملائكة لكمالها، فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية، ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصدها عن حضرة الجلال. وأما الإنسان فإنه يخلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح وليس له قوة الصبر، فإذا تحرك العقل وقوي، ظهرت مبادئ إشراق نور الهداية عند سن

التمييز، وينمو على التدرج إلى سن البلوغ، كما يبدو نور الصباح إلى أن يطلع قرص الشمس، ولكنها هداية قاصرة لا مرشد لها إلى مصالح الآخرة، فإذا عمد إلى معرفة الشرع تلمح ما يتعلق بالآخرة وكثر سلاحه إلا أن الطبع يقتضي ما يحب، وباعث الشرع والعقل يمنع، والحرب بينهما قائمة، وميدان هذا القتال قلب العبد، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات، فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين، وإن ضاق حتى غلبت عليه الشهوة ولم يصبر حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق بأتباع الشياطين.

وقد ذكر الله تعالى الصبر في نحو من تسعين موضعاً، وأضاف إليه أكثر الدرجات والخيرات وجعله ثمرة له.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا ﴾^(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾^(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا وَأَجْرُهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣)، وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٤).

١. سورة السجدة، الآية (٢٤).

٢. سورة الأعراف، الآية (١٣٧).

٣. سورة النحل، الآية (٩٦).

٤. سورة الزمر، الآية (١٠).

فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب، إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر، فقد قال الله تعالى - كما في الحديث القدسي الذي رواه البخاري - : ﴿ الصوم لي وأنا أجزي به ﴾ .

وقد وعد الله الصابرين بأنه معهم، وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم، فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ^(١) . والآيات في هذا كثيرة، وأما الأحاديث، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ ما أعطى أحد خيراً وأوسع من الصبر ﴾ ، وفي أثر يروى عن علي رضي الله عنه : ﴿ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ﴾ . وقال الحسن : ﴿ الصبر كنوز الخير، لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبدٍ كرم عنده ﴾ .

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة فيطالعها، وفيها : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٢) .

العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال، وذلك أن جميع ما يلقي العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين، أحدهما : ما يوافق هواه من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة والأتباع وجميع ملاذ الدنيا.

١ . سورة البقرة، الآية (١٥٧) .

٢ . سورة الطور، الآية (٤٨) .

فالعبد محتاج إلى الصبر في جميع هذه الأمور، فلا يركن إليها ولا ينهمك في التلذذ بها، ويراعي حق الله تعالى في ماله بالإنفاق، وفي بدنه بالمعونة بالحق.

ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك في الملاذ والركون إليها أخرجته ذلك إلى البطر والطغيان، حتى قال بعض العارفين: المؤمن يصبر على البلاء، ولا يصبر على العافية إلا صديق.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^(٣).

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، وهذا الصبر يتصف بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر، وإنما كان الصبر على السراء شديداً لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ.

وإن أشد أنواع الصبر والمجاهدة كف الباطن من حديث

١. سورة المنافقون، الآية (٩).

٢. سورة الأنفال، الآية (٢٨).

٣. سورة التغابن، الآية (١٤).

النفوس، فإنما يشهد ذلك على من تفرغ واعتزل، فإن الوسواس لا تزال تحدته.

ولا علاج لهذا إلا قطع العلائق، وجعل الهم واحداً، وصرف الفكر إلى ملكوت السماوات والأرض، وعجائب صنع الله تعالى، وجميع أبواب معرفته سبحانه، حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك محادثة الشيطان ووسواسه، فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة من القرآن والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور، فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب، دون الأوراد الظاهرة، فهذا الذي يمكن أن ينال بالاكْتساب والجهد.

فأما مقادير ما ينكشف، ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى من الأحوال والأعمال، فذلك يجري مجرى الصيد، وهو بحسب الرزق، فقد يقل الجهد ويكثر الصيد، وقد يطول الجهد ويقل الصيد، فالمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن سبحانه وتعالى، فإنها توازي أعمال الثقلين، وليس ذلك إلى اختيار العبد، بل اختياره أن يتعرض لتلك الجذبة، بأن يقلع عن جواذب الدنيا، فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عليين.

وكل منهوم بالدنيا هو مجذوب إليها، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﴿تعالى﴾: ﴿إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفْحَاتٍ أَلَا فَتَعْرَضُوا لَهَا﴾، فالذي علينا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة، كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويضع فيها البذر، وكل ذلك لا ينفع إلا بمطر، ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر، إلا أنه يثق بفضل الله تعالى، إنه لا تخلو سنة من مطر، وكذلك قلّ ما تخلو سنة أو شهر أو يوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات.

فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب من حشيش الشهوات، وبذر فيه بذر الإخلاص، وعرضه لمهاب ريح الرحمة، وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع عند ظهور الغيم، كذلك انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة، وعند اجتماع الهم ونشاط القلب، كيوم عرفة ويوم الجمعة وفي رمضان، والهمة العالية من أسباب استدرار رحمة الله تعالى بحكمته وتقديره.

الصبر المخالف للهوى على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الطاعات، فيحتاج العبد إلى الصبر عليها، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية، ومن

العبادات ما يكره بسبب الكسل، كالصلاة.
ومنها ما يكره بسبب البخل، كالزكاة، ومنها
ما يكره بسببهما جميعاً، كالحج والجهاد.
ويحتاج المريد للصبر على طاعته في ثلاثة
أحوال:

حال قبل العبادة، وهي تصحيح النية
والإخلاص والصبر على شوائب الرياء.
وحال في نفس العبادة، وهي أن لا يغفل
عن الله تعالى في أثناء العبادة، ولا يتكاسل
عن تحقيق الآداب والسنن، فيلازم الصبر
عن دواعي الفتور إلى الفراغ من العمل.
والحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل، وهي
الصبر عن إفشائه والتظاهر به لأجل الرياء
والسمعة، وعن كل ما يبطل عمله، فمن لم
يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى أبطلها.

القسم الثاني: الصبر عن المعاصي، وما أحوج العبد إلى
ذلك، ثم إن كان الفعل مما تيسر فعله -
كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء

ونحوه - كان الصبر عليه أثقل، فترى الإنسان إذا لبس حريراً استنكر ذلك، ويغتاب أكثر نهاره فلا يستنكر ذلك، ومن لم يملك لسانه في المحاورات، ولم يقدر على الصبر، لم ينهه إلا العزلة.

القسم الثالث: ما لا يدخل تحت الاختيار: كالمصائب مثل موت الأحبة وهلاك الأموال، وعمى العين، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء؛ فالصبر على ذلك من أعلى المقامات، لأن سنده اليقين، وقد قال (ﷺ): ﴿من يرد الله به خيراً يُصب منه﴾، وقريب من ذلك الصبر على أذى الناس، كالذي يؤذى بقول أو فعل، أو جناية على نفسه أو ماله، والصبر على ذلك يكون بترك المكافآت. والصبر على أذى الناس من أعلى المراتب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبِرُوا وَاسْتَقِيمُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ

١. سورة آل عمران، الآية (١٨٦).

صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١﴾، وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَنْ صَبْرُكُمْ هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٢).

والأحاديث في فضائل الصبر كثيرة، منها ما ورد في الصحيحين عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله سبحانه وتعالى بها عنه، حتى الشوكة يشاكها﴾، وفي حديث في الصحيحين أيضاً قال ﷺ: ﴿ما يصيب المسلم من نصب ولا نصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله له من خطاياها﴾، وفي حديث ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: ﴿الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه: فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة﴾. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومن آداب الصبر استعماله في أول صدمة، لقوله ﷺ: ﴿إنما الصبر عند الصدمة الأولى﴾، ومن آدابه الاسترجاع، وسكون

١. سورة الحجر، الآية (٩٧).

٢. سورة النحل، الآية (١٢٦).

الجوارح واللسان، فأما البكاء فجائز، قال بعض الحكماء: الجزع لا يرد الفأنت، ولكن يسر الشامت.

ومن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب، كما فعلت أم سليم امرأة أبي طلحة لما مات ابنها، وحديثها مشهور في صحيحي البخاري ومسلم. وقال ثابت البناني: مات عبد الله بن مطرف، وخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد إدهن، فغضبوا، وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدّهناً؟ قال: أفأستكين لها؟ وقد وعدني ربي سبحانه وتعالى ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١) وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾، وقال مطرف: ما شيء أعطى به في الآخرة قدر كوز من ماء إلا وجدت أنه أخذ مني في الدنيا.

وكان صلة بن أشيم في مغزى له ومعه ابنه، فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل ثم تقدم فقتل، فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية، فقالت: مرحباً إن كنتن جئتن لتهنئني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

١. سورة البقرة، الآية (١٥٦)، والآية (١٥٧).

وإذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها، فكتمانه من نعم الله سبحانه وتعالى الخفية، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فيقول: انظروا ما يقوله لرواده؟ فإن هو حمد إذا دخلوا عليه رفع ذلك إلى الله تعالى وهو أعلم، فيقول: إن أنا توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وأن أكفر عنه خطاياهُ. ﴾

وقال الأحنف: ﴿ لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد ﴾، وقال رجلٌ للإمام أحمد: كيف تجددك يا أبا عبد الله؟ قال: بخير في عافية، فقال له: حممت البارحة؟ قال: إذا قلت لك أنا في عافية فحسبك، لا تخرجني إلى ما أكره. وقال شقيق البلخي: من شكَا مصيبة به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً، وقال الحكماء: من كنوز البر كتمان المصائب.

وقد كانوا يفرحون بالمصائب نظراً لثوابها، وحكاياتهم مشهورة في ذلك، منها ما روي أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لما مات، دفنه عمر فسوى عليه، ثم استوى قائماً، فأحاط به الناس، فقال: ﴿ رحمك الله يا بني، قد كنت براً بأبيك، والله ما زلت مذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك سروراً

ولا أرجى بحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي سيرك الله إليه ﴿.فإن قيل إن كان المراد بالصبر عدم كراهية المصائب، فلا قدرة للآدمي على ذلك، وإن كان الفرح بوجودها كما حكيتم فهو أبعد وأبعد، والجواب أن الصبر لا يكون إلا عن محبوب، أو على مكروه، ولا ينهى عما لا يدخل تحت الكسب وهو ارتجاع الباطن، وإنما ينهى عن المكتسب كشقّ الجيوب، ولطم الخدود، والقول باللسان، فأما ما ذكرنا من فرح بعضهم فذلك فرح شرعي لا طبعي، إذ الطبع لا بد له من كراهة المصائب، ومثال هذا مثال رجل مريض وُصفت له شربة لمرضه، فسعى في طلب حوائجها وأنفق عليها مالا، فلما تمت فرح بتمامها، وتناولها لما يرجو بها من العافية، فأما طبعه فما زالت عنه كراهة تناول أصلاً، ولو أن ملكاً قال لرجل فقير: كلما ضربتك بهذا العود ضربة أعطيتك ألف دينار، لأحبّ كثرة الضرب، ليس لأنه لا يؤلم، ولكن لما يرجو من عاقبته وإن أنكاه الضرب، فكذلك السلف تلمحوا الثواب، فهان عليهم البلاء.

ومن أراد دواءً للصبر فليعلم أن الذي أنزل الداء، أنزل الدواء ووعد بالشفاء، فالصبر وإن كان شاقاً فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل، فمنهما تركيب الأدوية لأعراض القلوب كلها، فيحتاج كل مرض إلى علم وعمل يليق به، فإن العلل إذا اختلفت

اختلف العلاج، إذ معنى العلاج مضادة العلة، ونضرب لك مثلاً، فنقول: إذا افتقر الإنسان إلى الصبر عن شهوة الجماع، وقد غلبت عليه بحيث لا يملك فرجه ولا عينه ولا قلبه، فعلاج ذلك بثلاث أشياء:

أولها: مواظبة الصوم، والاقْتصار عند الإفطار على قليل من الطعام.

الثاني: قطع أسبابه المهيجة له، فإنه إنما يهيج بالنظر، والنظر بالقلب، والقلب يحرك الشهوة، ودواء ذلك العزلة والاحتراز من مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة، فإن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، ولا يمنع عنه إلا غمض الجفن أو الهرب.

الثالث: تسلية النفس بالمباح من حبس المشتهى وذلك بالنكاح، وكل ما يشتهيهِ الطبع من الحرام، ففي المباحات غنية عنه، وهذا العلاج هو الأرفع في حق أكثر الناس، لأن قطع الغذاء يضعف ولا يجمع الشهوة، بخلاف هذا.

وينبغي للإنسان أن يعود نفسه المجاهدة، فإن من عود نفسه مخالفة الهوى غلبها متى أراد.



المعلم الرابع والعشرون الرحمة المهداة

وإذا سألت عن مقام سيدنا رسول الله ﷺ بين الناس أجمع، وبين الأنبياء، فإن ذلك يوضحه الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ومسلم وغيرهما: قال رسول الله ﷺ: ﴿أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظر الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولون: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم؟ فيقول

بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، وفضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟

فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - ، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ، - وفي رواية : فيقولون : يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فأتي تحت العرش، فأقع ساجداً للربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد من قبلي، ثم يقال : يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا ربي، أمتي يا ربي، فيقال : يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال : والذي نفسي بيده ! إن مصراعين من مصارع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى .



المعلم الخامس والعشرون الوعي الإسلامي

النقاط التالية يجب التركيز عليها في اليقظة الإسلامية الجديدة، وصيانة المجتمع الإسلامي في ضوء الواقع وتجارب الماضي:

تحريك الإيمان في نفوس الجماهير والشعوب المسلمة وإثارة الشعور الديني فيها، لأن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام وتحمسها له هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد، وذلك مع تحقيق الشروط والصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله تعالى، والتغلب على

المشكلات، وإخلاص الدين له، والابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة، والعادات الجاهلية، والتقاليد غير الإسلامية، وعن النفاق والتناقض بين العقائد والحياة، والعلم والعمل، وسير الأمم القديمة التي استحققت بها عذاب الله وخذلانه، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله فأنساها نفسها، هذا مع تنمية الوعي الصحيح وتربيته وإصلاح البيئات الثلاث، وهي: البيت والمدرسة والمجتمع.

صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف، وعدم إخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، لأن هذه الحقائق هي أساس الإسلام، والأصل الذي منه البداية وإليه النهاية، وإليه كانت دعوة الأنبياء؛ هذا مع الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد، والإيمان بالآخرة وأهميتها.

تقوية الصلة الروحية بالنبي ﷺ، والحب العميق له، الذي يؤثره على النفس والأهل والولد، كما جاء في الحديث الصحيح، والإيمان به كخاتم الرسل ومنير السبيل وإمام الكل، والحذر من كل العوامل التي تسبب جفاف منابع هذا الحب، وتضعف العمل بالسنة، وتصرف عن الافتخار به والولوع بدراسة سيرته.

ولعل البلاد العربية أحوج إلى العناية بهذه النقطة وأحق بها، ففيها كانت البعثة المحمدية، وبلغتها نزل القرآن ونطق الرسول ﷺ، إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية في البلاد الإسلامية بصلاحيته الإسلامية، وقدرته على مسايرة العصر وتطوراتها، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى، مع القيام بحركة علمية قوية دولية تعرّف هذه الطبقة بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد، وتنفع في العلوم الإسلامية روحاً من جديد.

قلب نظام التربية، وصياغته صياغة إسلامية جديدة، تتفق مع شخصية الشعوب المسلمة وعقيدتها ورسالتها، وبغير ذلك لا يقوم العالم الإسلامي على قدميه، ولا تدار الحكومات والأجهزة الإدارية إلا برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين، يطبقون التعاليم الإسلامية.

لابد للحكومات والمجتمعات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلامي المستقل، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، والارتجالية، ومركب النقص، ولا بد من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها ودوائرها، وفي بيوتها وفي مجتمعاتها، وفي متنزهاتها ومكاتبها وسفاراتها، وبذلك لا يعرف العالم الإسلامي نموذجاً

للحياة الإسلامية فحسب، بل يقوم بدعوة صامته للإسلام .
معاملة الحضارة الغربية بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها كمواد
خام، يصوغ منها قادة الفكر وولاة الأمور في العالم الإسلامي
حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والرحمة
من جانب، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية من جانب آخر،
يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه بلادهم وما تحتاجه علمياً
ويستغنون عن غيره، ويعاملون الغرب كزميل وقرين، وإن كانوا
في حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيراً، فهو في حاجة لأن يتعلم منهم
أكثر، وربما كان ما سيتعلمه الغرب أفضل مما يتعلمونه هم منه .

القيام بدعوة البلاد غير الإسلامية إلى الإسلام والتعريف به
بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعته ومع روح العصر؛ أما البلاد
التي فيها الأقليات المسلمة، فالاهتمام بتمثيل الإسلام تمثيلاً
يلفت إليه الأنظار، ويستهوئ القلوب، والقيام بالقيادة الخلقية
والروحية، وقبول مسؤولية إنقاذ البلاد من الانهيار الخلفي
والخواء الروحي والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له، حتى
يتهيأ للإسلام أن يثبت جذوره، ويتيحاً للمسلمين أن يقوموا
بدورهم القيادي في هذه البلاد .



المعلم السادس والعشرون القيادة الحقة

إن الحضارة الغربية شارفت على الانهيار، وأذنت بالأفول والزوال، إنها تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية، وجدارتها للحياة والبقاء، بل لأنه ليست في هذا المجال، من تعاسة الحظ، حضارة تحل محلها، وتسد فراغها، إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادات الحديثة اليوم لا تعدو نوعين:

- إما هي مقلدة جامدة، وصورة باهتة للحضارة الغربية.
- وإما هي ضعيفة هزيلة، منسحبة منهزمة، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة، أو تقف معها جنباً إلى جنب.

فإذا قامت الدول الإسلامية بصورة عامة لسد هذا الفراغ، الذي سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة وانسحابها عن مسرح القيادة، رُدَّ إليها منصب القيادة للجيش البشري وتوجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانية، المنصب الذي لا يُفَوَّضُ إلا إلى أمة متينة قوية أبنية تحمل كل عناصر البقاء والاستمرار والتقدم والازدهار، سنة الله في الأرض: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

فهل هناك - في ساحة العالم الإسلامي الكبير - بلد إسلامي يقوم لهذا العمل الضخم الذي لا يساويه عمل في هذا العهد الحديث في الاتساع والعمق والشمول، وفي النتائج والآثار والثمرات والخيرات، وفي تغيير التيارات وتقويم الاتجاهات؟!.

إن هذه التجربة تعطي الدول التي تقوم بها، والعالم الإنساني كله مجالاً بكرّاً جديداً فسيحاً للتفكير والعمل، وطريقاً مأموناً مستقيماً إلى السلامة والأمن، هذا العمل لا تستحقه، ولا تجدر به، ولا تنجح فيه، إلا الشعوب التي عاشت في حوزة الملة الإبراهيمية، واعتزت ببشارة تكميل الدين وختم النبوة.

إن رسالة الإسلام تهتف بهؤلاء القادة والزعماء قائلة مجلجلة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

١. سورة الأحزاب، الآية (٦٢).

الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ مَلَائِكَةُ أَيْبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ
الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١﴾ .

١ . سورة الحج، الآية (٧٨) .



المعلم السابع والعشرون

نصيحتي

حَيَاتُكَ يَا هَذَا لَسْرٌ مُخَبَّأٌ
تُكَشِّفُهُ الْأَيَّامُ وَالْفِكْرُ يَنْشُرُ
نَرُوحٌ وَنَغْدُو وَالْمَقَدَّرُ كَائِنٌ
يَزِفُّ لَنَا الْبُشْرَى أَمْ الْقَبْرُ يُحْفَرُ
تَمْرٌ بِنَا الْأَحْدَاثُ فِي غَيْرِ عِبْرَةٍ
وَدُونَ اعْتِبَارِ الْمَرْءِ دُنْيَا تُحْذَرُ
وَفِي النَّفْسِ أَمَالٌ تُدَاعِبُهَا الْمَنَى
تَنْوَأُ بِهَا شَمُّ الْجِبَالِ وَتُقَهَّرُ

وَكَمْ فِي الشَّرِّ مِنْ كُلِّ صَرَغِي مَطَامِعٍ
 وَكَمْ يَصْرَعُ الطَّيْشُ المَقِيْتُ وَيَبْتَرُ
 هِيَ النَّفْسُ أَسُّ الدَّاءِ وَالسُّوءِ دَائِمًا
 وَأَعْدَى عَدُوِّ المَرءِ لَوْ كَانَ يُبْصَرُ
 هِيَ النَّفْسُ لَمْ تَشْبَعْ وَلَمْ يَكْفِهَا الغِنَى
 وَلَوْ سِيقَ مَالُ المَشْرِقَيْنِ المَقْنَطَرُ
 هِيَ النَّفْسُ لَا تَرْضَى بِأَمْرِ مُقَدَّرٍ
 وَهَلْ يُسَعِدُ الإِنْسَانَ إِلَّا المَقْدَرُ
 هِيَ النَّفْسُ تَهْوَى كُلَّ شَرٍّ وَشَهْوَةٍ
 وَتُلْبَسُ كُلَّ القُبْحِ ثَوْبًا يُزَوِّرُ
 هِيَ النَّفْسُ لَا تَرْضَى بِحَدٍّ يَرُدُّهَا
 وَإِنْ يَدْعُهَا هَدْيٌ تَفِرُّ وَتَنْفِرُ
 هِيَ النَّفْسُ كَمْ تَطْغَى وَتَسْعَى لِفِتْنَةٍ
 وَتَحْقِرُ خَلْقَ اللَّهِ وَالرَّبَّ يَنْظُرُ
 هِيَ النَّفْسُ لِلدُّنْيَا تُحِبُّ حُطَامَهَا
 وَتَشْحُحُّ إِنْ دُعِيَتْ لِخَيْرٍ يُشْكِرُ
 هِيَ آلَةُ الشَّيْطَانِ فَكَبِّحْ جَمَاحَهَا
 وَخَالَفْ هَوَاهَا فَالمُخَالَفُ يُؤَجِّرُ

وَصُنَّهَا مِنَ الْأَحْقَادِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 فَكَمْ تَفَعَّلُ الْأَحْقَادُ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ
 مُسِيءٌ ظُلُومٌ قَدْ أَضَرَ بِنَفْسِهِ
 وَرَبُّ الْوَرَى يُحْصِي عَلَيْهِ وَيَحْصُرُ
 فَجَهَّزْ لِنَفْسٍ زَادَهَا لِمَعَادِهَا
 فَإِنَّكَ - يَا هَذَا - غَدًا لَسْتَ تُعْذَرُ
 فَإِنْ سُسَّتْهَا لِلْخَيْرِ كُنْتَ مُوَفَّقًا
 وَقَدَّمْتَ مَا يُنْجِيكَ إِذْ مَا تُقْبَرُ
 فَمَا بَعْدَ هَذِي الدَّارِ دَارٌ لِعَامِلٍ
 سِوَى جَنَّةِ الْمَأْوَى أَوْ النَّارِ تُصْهِرُ
 تَذَكَّرْ خُرُوجَ الرُّوحِ وَالْمَوْتَ دَاهِمٌ
 وَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ يَوْمَهَا فَيُؤَثِّرُ
 تَذَكَّرْ سُؤَالَ الْقَبْرِ وَالْقَبْرِ مُوَحِّشٌ
 وَأَنْتَ حَبِيسٌ فِي ظَلَامٍ تُرْجَرُ
 تَذَكَّرْ وَقُوفَ الْعَرَضِ فِي شَرِّ شِدَّةٍ
 وَلَا أَحَدٌ إِلَّا إِلَى اللَّهِ يَجَارُ
 إِذَا مَا يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ كُلِّ أَهْلِهِ
 وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ صَارَ فِيهِ مُتَبَّرٌ

تَذَكَّرُ صِرَاطَ الْهَوْلِ فَوْقَ جَهَنَّمَ
فَتَهْوَى شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا فَتَعْبُرُ
فَأَمَّا خُلُودٌ فِي نَعِيمٍ بَجَنَّةٍ
وَأَمَّا خُلُودٌ فِي اللَّظَى يَتَسَعَّرُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى النَّارِ لِحِظَةٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْبَى نَعِيمًا يُحْبَرُ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن العجمي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com